

الوهن في القرآن الكريم  
(دراسة موضوعية)

عبد المجيد محمد علي الغيلي

٢٠١٤ / ١٤٣٦ هـ

موقع رحى الحرف

# الوهن في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

عبد المجيد محمد علي الغيلي

٢٠١٤م / ١٤٣٦هـ

موقع رحى الحرف

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.  
(ترقيم الكتاب موافق لنسخة المؤلف)

للاقتباس:

الوهن في القرآن الكريم، عبد المجيد محمد علي الغيلي، ٢٠١٤م / ١٤٣٦هـ، منشور  
على موقع المؤلف: رحى الحرف، ص ...

## الفهرس:

٣	الفهرس:
٥	مقدمة:
٦	المبحث الأول: مفهوم الوهن في القرآن الكريم
١١	المبحث الثاني: مظاهر الوهن في القرآن الكريم
١١	الأول: الضعف بعد القوة
١٢	الثاني: الفتور بعد العزم
١٣	الثالث: الجبن بعد الإقدام
١٤	الرابع: الاختلال بعد الأحكام
١٦	المبحث الثالث: وهن الجسم في القرآن الكريم
١٦	المطلب الأول: وهن العظم
١٧	الوجه الأول: مفهوم وهن العظم
١٩	الوجه الثاني: في تخصيص العظم بنسبة الوهن إليه
٢١	الوجه الثالث: اقتران (وهن العظم) بغيره من الأعراض
٢٢	الوجه الرابع: في إفراد لفظ (العظم)
٢٤	المطلب الثاني: وهن الحامل
٢٤	مع المفسرين:
٢٦	التحقيق في مفهوم الآية:
٣٠	المطلب الثالث: أسباب وهن الجسم وعلاجه
٣٠	(الشيخوخة):
٣٥	(العوارض الطارئة):
٣٦	(الأمراض القلبية):
٣٩	المبحث الرابع: وهن القلب وأسبابه
٤١	السبب الأول: حب الدنيا
٤٥	السبب الثاني: كراهية القتال
٥٠	المبحث الخامس: وهن العمل وأسبابه

٥٠	المطلب الأول: وهن الصنعة.....
٥٠	مع المفسرين.....
٥٣	الإعجاز العلمي في الآية:.....
٥٦	بيان المثل المضروب:.....
٦٢	المطلب الثاني: وهن الكيد.....
٦٨	المطلب الثالث: أسباب وهن العمل:.....
٧٢	المبحث السادس: أثر الوهن.....
٧٣	أولاً: الآثار الذاتية للوهن.....
٨٠	ثانياً: الآثار غير الذاتية للوهن.....
٨٥	المبحث السابع: علاج الوهن.....
٨٦	أولاً: العلاج الإدراكي.....
٨٦	(سنة الموت والحياة):.....
٩٤	(سنة مداولة الأيام):.....
٩٧	(سنة البلاء والمصيبة):.....
١٠٢	(وعي المسلم الدائم برسالته في الحياة).....
١٠٦	ثانياً: العلاج القلبي.....
١٠٦	رياضة القلب:.....
١١٠	(الصبر):.....
١١٤	التوكل على الله:.....
١١٦	ثالثاً: العلاج السلوكي:.....
١١٦	(تبني الخطاب التغييرية).....
١١٧	(الجهاد بالنفس والمال):.....
١٢١	(تنقية الصف):.....
١٢٢	(بناء الصف):.....
١٢٨	المراجع:.....

## مقدمة:

هذا البحث: (الوهن) في القرآن الكريم، وقد خصصته للدراسة الموضوعية، أما الدراسة المعجمية للفظ الوهن، والألفاظ المتصلة به، فقد درستها في بحثي الآخر: من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم، فهما بحثان أحدهما يكمل الآخر.

وأشرت في المبحث الأول إلى مفهوم الوهن، والمبحث الثاني خصصته لمظاهر الوهن في القرآن الكريم، وأما المبحث الثالث والرابع والخامس فخصصتها لأنواع الوهن في القرآن الكريم، وهو: وهن الجسم ووهن القلب ووهن العمل، ثم في المبحث السادس درست آثار الوهن، وفي المبحث الأخير درست علاج الوهن.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به، وأن ينفع به عامة المسلمين، وأن يكون لبنة في علاج الوهن الذي دبّ إلى القلوب، وفي تخطي مرحلة الغثائية التي غشيت المسلمين.

عبد المجيد محمد علي الغيلي

الرياض

صفر - ١٤٣٦هـ / ديسمبر ٢٠١٤م

## المبحث الأول: مفهوم الوهن في القرآن الكريم

درست في بحثي (من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم)<sup>(١)</sup>، لفظ (الوهن) دراسة معجمية، وقد بينت معانيه اللغوية في المعاجم، وفي كتب التفسير، ومسالكهم في التفريق بين (الوهن) والضعف، وختمت ذلك ببيان أن اللغويين والمفسرين لم يميزوا بينهما، بل يحملون أحد اللفظين على الآخر، ولم تطرد محاولات التمييز بينهما. وتناولت العلاقة بين لفظ (الوهن) وأكثر من عشرين لفظاً تتصل بحقوله الدلالية. وأكتفي بما ذكرته هناك.

ثم قدمت تعريفاً محققاً للفظ (الوهن)، وهو:

(انكسارُ حدِّ الشيء، بعد قوةٍ متحققةٍ أو مُمكنةٍ، مما يؤدي إلى عجزه).

وشرحت دلالة التعريف، حيث يشتمل على: أربعة عناصر، الأول: (طبيعة الوهن)، والثاني: (صفة الوهن)، والثالث: (الشيء الواهن)، والرابع: (أثر الوهن).

فالوهن ليس مجرد الضعف أو الفتور أو الجبن، ولكنه ضعف بعد قوة أو مع إمكان القوة، وكذلك يدل على الفتور مع إمكان العزم أو بعد العزم.

ولذلك فالفرق بين الوهن والضعف، أن الوهن لا يشمل

<sup>(١)</sup> من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم (دراسة معجمية)، عبد المجيد محمد علي الغيلي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، منشور على: رحي الحرف.

الضعف الأصلي، في حين أن الضعف يدل على الضعف الأصلي والضعف الطارئ (بعد قوة)، فمن الضعف ابتداء قوله تعالى: {وَوَخَّلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٢٨]. ومن الضعف الطارئ قوله تعالى: {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا} [آل عمران: ١٤٦]. واجتمعا في قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم: ٥٤]، فالضعف الأول هو ضعف ابتداء، والضعف بعد الكبر هو ضعف بعد قوة، فهو ضعف طارئ.

فالإنسان، مثلاً، لا يوصف بالوهن في طفولته، ولكنه يوصف به في كبره؛ لأنه ضعف بعد قوة، وبعبارة أخرى: انكسر حد الإنسان بالضعف بعد أن كان قوياً، فهذا هو الوهن، أما في الطفولة فلم يكن ضعفه بعد قوة، بل كان ضعفه ابتداء، فلا يسمى: وهناً.

والوهن، كما تبين من استخدام اللفظ، يشمل أربع صفات:

- (١) الضعف بعد القوة،
- (٢) الفتور بعد العزم،
- (٣) الجبن بعد الشجاعة،
- (٤) الاختلال بعد الأحكام.

وقد قيده في التعريف بلفظ (بعد قوة)، ولفظ (القوة) يدل على: القوة التي تقابل الضعف، والعزم، والشجاعة، والأحكام، والقدرة<sup>(١)</sup>. والقوة قد تكون متحققة في الشيء قبل وهنه، فينكسر

<sup>(١)</sup> راجع بحثي: من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم.

حده من بعد قوة متحققة فيه، كمن جبُن بعد شجاعة، أو فتر بعد عزم، وقد تكون القوة ممكنة، كالضعف مع إمكان القوة، أو الفتور مع إمكان الفعل.

والعلاقة بين لفظي (القوة) و(الوهن) أن (القوة) هو المقابل التام للفظ (الوهن)، فالوهن كما تبين يتصل بخمسة حقول دلالية، هي: الضعف، والفتور، والجبن، والخلل، والعجز. فالقوة: شدة، وجد، وشجاعة، وإحكام، واستطاعة. والوهن: ضعف، وفتور، وجبن، وخلل، وعجز.

ومن ثم فالوهن هو انكسار في صفة من هذه الصفات إلى المقابل الأدنى لها. ولذلك تجد المفسرين يذكرون تلك المعاني المتعددة للفظ، حيث يجدون السياق يدل عليها، فعرّفوا (الوهن) بأنه: الضعف، والفتور، والجبن... وهذا يدل على أن ثمة صلة بين دلالة (الوهن) وتلك المعاني، والصلة هي دلالة (انكسار الحد)، وهو أن ينتقل الشيء الواهن من الجانب المستحسن في الصفة إلى الجانب المذموم، على وجه الانكسار.

والشيء الواهن عبّر عنه بلفظ (الشيء)، فهو لا يقتصر على جسم أو قلب، ولا عمل أو رأي، بل قد يكون جسم الإنسان، أو قلبه، وقد يكون العمل، أو غير ذلك. فالشيء الواهن إما ذات (نحو: وهن المعدن، وهن العظم...)، أو معنى (نحو: وهن الأمر، وهن الرأي... ويدخل فيه: وهن القلب). وفي القرآن الكريم له ثلاثة أنواع: وهن الجسم، ووهن القلب، ووهن العمل.

وأثر الوهن هو العجز، سواء أحسباً كان العجز (كعجز

العظم الواهن عن حمل الجسم)، أم معنوياً (كعجز قلب الجبان عن الإقدام، وعجز مَنْ تفرق أمرهم عن مواجهة أعدائهم، ومن ثم يرضون بالذل والهوان). وسواءً أحقيقياً كان العجز (فيعجز الشيء الواهن عن أداء وظيفته التي كان يؤديها، كعجز من انكسرت رجله عن المشي)، أم حكماً (فيعجز الشيء الواهن عن أداء وظيفته التي كان من الممكن أن يؤديها، كعجز الجبان عن القتال، فهو يعتقد أنه عاجز؛ مما يؤثر في أفعاله، بالرغم من إمكان إقدامه). والعجز درجات، فقد يكون يسيراً وقد يكون شديداً، فأوله حصول المشقة، وآخره العجز التام عن الفعل. وسيأتي في المبحث الرابع.

ولذلك عند تفسير معنى (الوهن) فإننا نسأل ثلاثة أسئلة، الأول: ما الشيء الواهن؟ والثاني: ما صفة الوهن (التي انتقل إليها، والتي انتقل منها)؟ والثالث: ما أثر الوهن؟



أما "التوهين" فهو إحداث الوهن في الشيء، فيصبح شيئاً موهوناً، ويمكن تعريفه بأنه "كسر حد الشيء، بعد قوته، لإعجازه". فالتوهين يفيد أن ثمة فاعلاً يقوم بتوهين غيره، بكسر حده بعد قوة، فيضعفه بعد أن كان قوياً، ويثبطه بعد أن كان عازماً، ويرعبه بعد شجاعة، وينقضه بعد إبرام، وأثر ذلك أن يلحق العجز بالشيء الموهون.

ويقال: (أوهن)، أو: (وهن) وبهما قرئ في السبع قوله تعالى<sup>(١)</sup>:

<sup>(١)</sup> ينظر القراءة في: تفسير الطبري، (١٣/٤٩٩).

{ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: ١٨]. قرئ: (مُوهِنٌ) من: أوهن فهو مُوهِن، وقرئ: (مُوهِّن) من: وهنَّ فهو مُوهِّن. ونحو: وهنَّ الشيخُ الحديثَ (أي: عدّه واهناً، فكأنه قال إنه ليس قوياً كما يُظن بل ضعيف، ومنه: وهنَّ رأيه، أي: عدّه واهناً)... إلخ.



كما بينت العلاقة بين لفظ الوهن والشدة، وحققت القول إن الشدة هي صفة متممة لغيرها من الصفات، فتحدد درجتها، ومن ثم تأتي وصفاً لغيرها، فتقول: قوة شديدة، وضعف شديد. وعرفتها بأنها: "بلوغ الصفة حدها الأقصى صعوداً أو هبوطاً"، والاشتداد يدل على الازدياد المتدرج - صعوداً أو هبوطاً - في الصفة.

كما حققت في الفرق بين العجز والوهن، وبينت أن العجز يقابل الاستطاعة، لا القدرة، فالعجز هو القصور عن فعل الشيء، والاستطاعة: القدرة على فعل الشيء، وكل منهما (أي: العجز والاستطاعة) قد يكون مطلقاً، وقد يكون نسبياً، والوهن يلتقي مع العجز النسبي، ويقابل (الاستطاعة) بهذا المعنى، وأفعال الاستطاعة الأخرى، ومن ذلك: الإطاقة. كما أن (العجز) هو أثر الوهن، فالواهن يعجز عن أداء وظيفته، فمثلاً: وهنَّ العظم يضعفه، ومن ثم يؤدي به إلى العجز عن تحمل الجسم.

والمشقة هي أول آثار الوهن، ثم العجز. وسواء في ذلك أكان الشيء الواهن ذاتاً أو معنى، فالجسم الواهن يشق عليه العمل، وكذلك القلب الواهن يجد مشقة في النهوض إلى الشيء، ولذلك يؤثر في الجسم فيصيبه الفتور والكسل.

## المبحث الثاني: مظاهر الوهن في القرآن الكريم

دُكر لفظ (وهن) مع اشتقاقاته، في القرآن الكريم، تسع مرات، ثماني مرات من الفعل الثلاثي (وَهَنَ)، ومرة من الفعل الرباعي (أوهن). وكل هذه المواطن تنتظم في الدلالة التي ذكرتها آنفاً للفظ الوهن.

وتُصنّف هذه المواضع من حيث الشيء الواهن، ومن حيث صفة الوهن. أما من حيث الشيء الواهن فهو ثلاثة أنواع: وهن الجسم، ووهن القلب، ووهن العمل. سأحدث عن هذه الأنواع في المباحث القادمة، وسأخصص لكل منها مبحثاً.

وأما من حيث صفة الوهن، فهي أربع - كما يتبين من استخدام القرآن الكريم: ضعف بعد قوة (أو مع إمكان القوة)، وفتور بعد عزم (أو مع إمكان العزم)، وجبن بعد شجاعة (أو مع إمكان الشجاعة)، واختلال بعد إحكام (أو مع إمكان الإحكام). وهذه الصفات الأربع تمثل مظاهر الوهن.

### الأول: الضعف بعد القوة.

جاء في موضعين، وكلاهما يتحدثان عن وهن الجسم، وهما قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا }

[مريم: ٤]، فهذا الوهن ضعف بعد قوة، فالعظم كان شديداً<sup>(١)</sup>، ويحمل جسم الإنسان، فإذا كبر رق العظم وضعف بعد قوة، وذلك وهنه؛ وأثر هذا الوهن: قصور العظم عن أداء وظائفه، حيث يثقل حين يحمل الجسم وقد يعجز عن حمله إذا ازداد الوهن، فالأثر متدرج.

وقوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} [لقمان: ١٤]، فالوهن هنا ضعف بعد قوة، والشيء الواهن هو جسم الأم الحامل، وأثر الوهن المشقة في حمل الجنين، وتزداد هذه المشقة بالتدرج كلما كبر الجنين. وقد عبر السمرقندي في تفسيره عن هذا الأثر بقوله: "يعني: ضعفاً على ضعف؛ لأن الحمل في الابتداء أيسر عليها، فكلما ازداد الحمل يزيد لها ضعفاً على ضعف"<sup>(٢)</sup>.

## الثاني: الفتور بعد العزم

وقد جاء في ثلاثة مواضع، كلها في سياق النهي، والشيء الواهن هو القلب. قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠، فمظهر وهن القلب: فتور بعد جد، وضعف بعد قوة، وسببه: القرحة الذي مسهم، ثم بينت الآيات اللاحقة آثار الوهن وعلاجها، كما سيأتي.

(١) انظر: لفظ (الشدة) في بحثي: من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم.

(٢) (٢٤/٣).

وقوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٠٤]، فمظهر وهن القلب: فتور بعد جد، وتراخ بعد عزم، وسببه: ما أصابهم من آلام، وأثره: التخلي عن القتال.

وقوله تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٥]، مظهر الوهن: فتور مع إمكان العزم، وسببه: إيثار الحياة الدنيا. وفي المباحث القادمة حديث مفصل عن هذه الآيات.

### الثالث: الجبن بعد الإقدام

وقد جاء منفياً، في قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦]. فالشيء الواهن هنا هو القلب، وصفة الوهن: الجبن بعد الإقدام في قتال الأعداء، وسببه: ما أصابهم من قتل أو هزيمة، وأثره: ترك الجهاد والانتقال على الأعقاب، وعلاجه: الصبر، والتوكل على الله. والضعف هنا على حقيقته، كما فسره الطبري: "وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم"<sup>(١)</sup>. وفسر البغوي الوهن بالجبن، فقال: "فما وهنوا أي: فما جبنوا"<sup>(٢)</sup>. والسياق يدل على أن الوهن في الآية هو الجبن، ولذلك دعا هؤلاء

(١) تفسير الطبري، (٢٦٩/٧).

(٢) تفسير البغوي، (٥٢١/١).

الرييون الله أن يثبت أقدامهم، أي: أن يمنحهم الشجاعة، (كما سيأتي في الألفاظ ذات الصلة)، قال تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِنَّا أُنزَلْنَا مِنْ رَبِّنَا غَضْرِبًا فَذُوقُوا الْعَذَابَ وَاسْتَأْذِنُوا فِى الْمَسْجِدِ الَّذِى يُبْعَثُونَ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى الْوَيْحِ وَقُلْ أَعْتَقْتُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنِّي ضَلْعًا وَمُنْتَهَى فِى الْمَسْجِدِ الَّذِى يُبْعَثُونَ} [آل عمران: ١٤٧].

وقد ذكرت في بحثي (من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم) أن الضعف يطلق على الشيء الضعيف سواء أكان الضعف ابتداء أم مستحدثاً، أما الوهن فلا يطلق على الضعف إلا إذا كان مستحدثاً (أي: بعد قوة). ونفي الضعف في الآية دليل على أنه ضعف مذموم، فهو مستحدث بعد قوة، فنفي حدوثه. وعليه فالتمييز بين (الوهن) و(الضعف) في الآية يكون من حيث الأصل في إطلاق اللفظ، فالأصل في لفظ (الضعف) هو دلالته على الضعف، والأصل في إطلاق لفظ (الوهن) هو انتقاله من الجانب المستحسن في الصفة إلى الجانب المذموم منها، والصفة تفهم من سياق الآية، وهي الجبن بعد الإقدام، مما يؤدي إلى ترك الجهاد.

#### الرابع: الاختلال بعد الأحكام

ويكون في وهن العمل، كما في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٤١]. فالعنكبوت تتخذ بيتاً واهناً، فالشيء الواهن بيت العنكبوت، وصفة الوهن اختلال البيت مع إمكان صنعه صناعة محكمة، وأثر الوهن عجز البيت عن

أن يقى العنكبوت من حر أو برد أو مطر، أو يحميه.

ومن هن العمل أيضاً: وهن الكيد والتدبير، وقد جاء في قوله تعالى: {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: ١٨]. فالآية تتحدث عن توهين الله كيد الكافرين، فالله هو موهن كيد الكافرين، وكيد الكافرين هو (الشيء الموهون). وصفة التوهين خلخلة كيدهم بعد إبرامه، ونقضه بعد إحكامه، وإضعافه بعد تقويته. وأثر التوهين هو عدم تمكينهم من تحقيق أهدافهم، ورد الدائرة عليهم. قال ابن عطية في تفسير الآية: "و(موهن) معناه: مُضَعَفٌ مُبْطَلٌ"<sup>(١)</sup>، فقوله (مبطل) يبدو لي أنه أقرب دلالة لتفسير الآية، فتوهين الله كيدهم إبطالاً له، ومحققاً لشدته، فيختل بعد إحكام، وينفك بعد إبرام، وهذا كقوله تعالى: {فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١].

<sup>(١)</sup> تفسير ابن عطية، (٥١٢/٢).

## المبحث الثالث: وهن الجسم في القرآن الكريم

ورد لفظ (وهن) للدلالة على وهن الجسم<sup>(١)</sup>، مرتين في القرآن الكريم، الأولى: وهن العظم، والأخرى: وهن الحامل. وهن الجسم سببه العوارض التي تعرض للجسم، سواء أكانت طبيعية، كالكبر والحمل، أو عوارض مرضية، كالمرض.

### المطلب الأول: وهن العظم

قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} [مريم: ٢-٥].

ينادي زكريا عليه السلام ربه ويدعوه أن يهب له ولداً يرثه من بعده، وقدم بين يدي دعائه بيان وهن عظمه وكبر سنه، واجتهاده في دعاء ربه من قبل وأن ربه عوده أن يستجيب له.

قال الرازي: "واعلم أن زكريا عليه السلام قدم على السؤال أموراً ثلاثة: أحدها: كونه ضعيفاً. والثاني: أن الله تعالى ما رد دعاءه البتة. والثالث: كون المطلوب بالدعاء سبباً للمنفعة في الدين، ثم

<sup>(١)</sup> هذا من حيث اللفظ، أما من حيث المعنى، فالقرآن الكريم تحدث في مواضع كثيرة عن وهن الجسم، وهو الضعف بعد قوة، كما في المرض، أو مرحلة الشيخوخة، ومن ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم: ٥٤]. وسأخصص لهذا بحثاً آخر إن شاء الله.

بعد تقرير هذه الأمور الثلاثة صرح بالسؤال<sup>(١)</sup>.

والحديث عن (وهن العظم) في هذه الآية، من حيث أربعة أوجه: مفهوم وهن العظم، والتخصيص بذكر العظم، واقتترانه بالشيب والأعراض الأخرى، وإفراد لفظ (العظم). سأتناول كل وجه كما فهمه المفسرون المتقدمون أولاً.

### الوجه الأول: مفهوم وهن العظم.

المفسرون المتقدمون فسروا الوهن في الآية بالضعف، وقال الطبري: "ضعف ورق من الكبر"<sup>(٢)</sup>، وقال ابن كثير: "ضعفت وخارت القوى"<sup>(٣)</sup>. وقد قدمت القول أن ثمة فروقاً بين (الوهن) و(الضعف).

أما من منظور الإعجاز العلمي فتبين الدقة في استخدام لفظ (وهن)، دون غيره (ضعف، لين...إلخ).

يتكون النسيج العظمي من خلايا عظمية، تفرز مواد تؤدي إلى ترسب أملاح الكالسيوم والفسفور في النسيج العظمي، مما يمنحه الصلابة والقوة والكثافة، فيتحمل ضغوط الحركة، وتسمى هذه عمليات البناء. ومع مرحلة الشيخوخة تقل عمليات البناء، وتزداد عمليات الهدم، فتتناقص كثافة العظام، وتضعف قوتها، وتلين

(١) تفسير الرازي، (٥٠٨/٢١).

(٢) تفسير الطبري، (١٤٣/١٨)، وانظر: الكشاف، للزمخشري، (٤/٣)، وفتح القدير، للشوكاني، (٣٧٩/٣)، وتفسير السعدي، (٤٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير، (٢١١/٥).

صلابتها، ويصاب النسيج العظمي بالهشاشة؛ مما يجعله عرضة سهلة للكسر<sup>(١)</sup>.

فوهن العظم يراد به: تناقص كثافة العظام ولين صلابتها وارتخاء بنيتها النسيجية الشديدة.

ويتسق هذا المفهوم مع التحقيق السابق الذي أوردته للفظ (الوهن)، فهو يحمل أربع دلالات، الأولى: انكسار الحد، والثانية: أن الانكسار بعد قوة، والثالثة: أثره وهو العجز، والرابعة: أن العجز يحدث تدريجياً.

فوهن العظم هو انكسار لقوته وتناقص لكثافته، بعد أن تبلغ قوته وكثافته أشدها؛ حيث إن "الكتلة العظمية تبلغ ذروتها من حيث القوة والكثافة في سن الثلاثين إلى الأربعين، ثم تبدأ تتناقص كثافتها وتضعف قوتها بعد الأربعين، ويزداد التناقص كلما تقدم الإنسان في العمر"<sup>(٢)</sup>. فالأشد الذي يبلغه الإنسان هو أقصى قوة وكثافة يصل إليها عظمه، قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف: ١٥]، وهي مرحلة القوة التي تعقبها مرحلة الضعف والشيبة {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم: ٥٤]. وهذا الوهن يصيب العظم بالفتور، فيرتخي بعد صلابته، ويضعف بعد قوة، وتتخلخل بنيته النسيجية بعد شدة واحكام.

(١) لا للشيوخوخة المبكرة، د. سامي محمود، (٦١).

(٢) التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، د. زهير رابع قرامي، موقع مجلة الإعجاز.

وأما أثر وهن العظم، فهو العجز. فالخلايا العظمية قبل بدء الوهن تكون قادرة على البناء، أما بعد الوهن فتعجز الخلايا العظيمة عن تعويض كل ما تفقده، ويظهر أثر ذلك في عجز العظم عن التحمل (سواء حمل الجسم، أم تحمل الضربات إذ يصبح سهل الكسر)، ويزداد هذا العجز تدريجياً كلما تقدم عمر الإنسان. وقد أشار الدكتور الديو إلى التدرج، فقال<sup>(١)</sup>: "لفظ الوهن يوحي بالتراكمية والتدرج في المقدار، وهو يتناسب مع حالة الهشاشة؛ فليس لها مقدار ثابت معين بل إنها تتزايد شدتها ويمكن أن تحدث منها مضاعفات".

فليس هناك لفظ أنسب لوصف هذه الحالة للعظم من لفظ (الوهن).

### الوجه الثاني: في تخصيص العظم بنسبة الوهن إليه.

قال الماوردي: "وفي ذكره وهن العظم دون اللحم وجهان: أحدهما: أنه لما وهن العظم الذي هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى. الثاني: أنه اشتكى ضعف البطش، والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم"<sup>(٢)</sup>. فهو يقصد باللحم والجلد (الجسم) كله، وكان تعبير الزمخشري أدل على ذلك، حين قال: "وإنما ذكر العظم؛ لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن"<sup>(٣)</sup>.

(١) قراءة علمية وإعجازية في وهن العظام عند الرجال، موقع هيئة الإعجاز العلمي.

(٢) تفسير الماوردي، (٣/٣٥٤).

(٣) الكشاف، (٤/٣). وقد نقل تفسير الزمخشري بحذافيره القرطبي في تفسيره دون

فالمفسرون المتقدمون يرون أن إسناد الوهن إلى العظم؛ لأن العظم قوام البدن، فإذا وهن العظم وهن الجسم كله، فالمعنى على هذا: وهن الجسم، ونسب الوهن إلى العظم من باب الاستلزام، فوهن العظم يستلزم وهن البدن كله، قال الشنقيطي: "فوهنه يستلزم وهن غيره من البدن"<sup>(١)</sup>، وأوضح ابن عاشور هذا الاستلزام بقوله: "لأن العظم هو قوام البدن وهو أصلب شيء فيه فلا يبلغه الوهن إلا وقد بلغ ما فوقه"<sup>(٢)</sup>. فالعلاقة بين (العظم) و(الجسم) هي الجزئية، حيث ذكر الجزء (العظم) وأراد الكل (الجسم). ومن ثم يفهم من ذلك أن الحديث عن (وهن العظم) ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو إشارة إلى وهن البدن كله، فكما قالوا: (إذا وهن العظم كان البدن أوهن).

أما الباحثون في الإعجاز العلمي فقد بينوا أن (وهن العظم) ظاهرة طبية تخص الهيكل العظمي، وتسمى علمياً (وهن العظم)، حيث يبدأ النقص والتقلص في الكتلة العظمية للجسم، من حيث قوتها وكثافتها، كما تبين أنفاً. وسبب وهن العظم عند الكبر نقص كفاءة خلايا البناء العظمي، مما يؤدي إلى نقص امتصاص الكالسيوم، ومن ثم زيادة هدم العظام؛ حيث تنفرد خلايا الهدم

---

عزو، (٧٧/١١)، وأبو حيان في البحر المحيط، (٢٣٩/٧)، وتابعه المفسرون، انظر مثلاً: نظم الدرر، للبقاعي، (١٦٨/١٢)، وتفسير أبي السعود، (٢٥٣/٥)، وفتح القدير، للشوكاني، (٣٧٩/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٦٤/١٦).

<sup>(١)</sup> أضواء البيان، (٣٦٠/٣).

<sup>(٢)</sup> التحرير والتنوير، (٦٤/١٦).

بالعمل على نخر العظام ولا تواجهها خلايا البناء بالتعويض<sup>(١)</sup>. ويرتبط (وهن العظم) بتغيرات أخرى تصيب الجسم في مرحلة الشيخوخة، كما سيأتي. ومن ثم فالحديث عن (وهن العظم) مقصود لذاته.

### الوجه الثالث: في اقتران (وهن العظم) بغيره من الأعراض:

ربط الرازي في تفسيره بين وصف النداء بـ(الخفي)، وبين ضعف عظم زكريا، فذكر من الأوجه: "خفي صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ: صوته خُفَاتَ وسمعته تارات. فإن قيل: من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين كونه نداء وخفياً، والجواب من وجهين، الأول: أنه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت إلا أن الصوت كان ضعيفاً لنهاية الضعف بسبب الكبر فكان {نداءً} نظراً إلى قصده، و{خفياً} نظراً إلى الواقع"<sup>(٢)</sup>.

كما ربط أيضاً بين اقتران (وهن العظم) بـ(اشتعال الرأس)، فبين أن (وهن العظم) هو استيلاء الضعف على باطن الجسم؛ لتداعي قوته، ثم قال: "وأما أثر الضعف في الظاهر فذلك استيلاء

<sup>(١)</sup> التساسق الهرموني في أوائل سورة مريم، د. زهير رابع قرامي، موقع مجلة الإعجاز.  
<sup>(٢)</sup> تفسير الرازي، (٥٠٧/٢١)، والوجه الثاني الذي ذكره للجمع بين (نداء) و(خفياً): "أنه دعا في الصلاة؛ لأن الله تعالى أجابه في الصلاة، لقوله تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى} [آل عمران: ٣٩] فكون الإجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء في الصلاة فوجب أن يكون النداء فيها خفياً".

الشيب على الرأس. فثبت أن هذا الكلام يدل على استيلاء الضعف على الباطن والظاهر، وذلك مما يزيد الدعاء توكيدا لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والتبري عن الأسباب الظاهرة"<sup>(١)</sup>. وقال ابن كثير: "والمراد من هنا: الإخبار عن الضعف والكبر، ودلائله الظاهرة والباطنة"<sup>(٢)</sup>، وقال السعدي: "شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن"<sup>(٣)</sup>.

أما من منظور الإعجاز العلمي، فهذه الأعراض ترتبط بمرحلة الشيخوخة. فزكريا عليه السلام يصف حاله وقد بلغ من الكبر عتياً، وقد تحدث عن مجموعة من التغيرات الجسمية التي أصابته، وهي: وهن العظم، وشيب الرأس، وضعف الصوت. وسأبينها عند الحديث عن أسباب وهن الجسم.

#### الوجه الرابع: في إفراد لفظ (العظم):

عني المفسرون ببيان وجه إفراد (العظم)، فنذكر الزمخشري في الكشف<sup>(٤)</sup>، أن ذلك "للدلالة على معنى الجنسية، أي: جنس العظم، فغرضه أن يبين أن عظمه الذي يقوم به بدنه قد وهن، وليس قصده أن يبين أن عظامه كلها (وليس بعضها) قد أصابها الوهن، قال البقاعي في نظم الدرر: "ولو جمع لأوهم أنه وهن مجموع عظامه لا

<sup>(١)</sup> تفسير الرازي، (٥٠٩/٢١).

<sup>(٢)</sup> تفسير ابن كثير، (٢١٢/٥).

<sup>(٣)</sup> تفسير السعدي، (٤٨٩).

<sup>(٤)</sup> (٤/٣).

جميعها"<sup>(١)</sup>.

أما من منظور الإعجاز العلمي<sup>(٢)</sup>، فإن أفراد لفظ العظم؛ لأن الهيكل العظمي في الجسم جهاز واحد، إذا دب الضعف في بعض العظام أثناء الشيخوخة فإن جميع عظام الجسم يكون قد دب الضعف فيها أيضاً، وقد يصيب الضعف بعض العظام أكثر من عظام أخرى إلا أن الضعف يشمل العظم كله وإن كان بدرجات متفاوتة قليلاً.

---

(١) (١٦٨/١٢).

(٢) الشيخوخة بين القرآن والسنة والعلم الحديث، د. أحمد شوقي إبراهيم، موقع موسوعة الإعجاز العلمي.

## المطلب الثاني: وهن الحامل

قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [القمان: ١٤]. في الآية ثلاثة مباحث، مفهوم الوهن، والشيء الواهن، ودلالة التركيب {وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ}.

### مع المفسرين:

قال الطبري: "ضعفاً على ضعف، وشدة على شدة... وقال قتادة: جهداً على جهد. وقيل: وهن الولد وضعفه على ضعف الأم"<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: "ضعفاً على ضعف، أي لزمها لحملها إياه أن ضعفت مرة بعد مرة"<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: "تضعف ضعفاً فوق ضعف، أي: يتزايد ضعفها ويتضاعف، لأن الحمل كلما ازداد وعظم، ازدادت ثقلاً وضعفاً"<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عطية: "وقيل إشارة إلى مشقة الحمل ومشقة الولادة بعده، وقيل إشارة إلى ضعف الولد وضعف الأم معه، ويحتمل أن أشار إلى تدرج حالها في زيادة الضعف، فكأنه لم يعين ضعفين بل كأنه قال حملته أمه والضعف يتزايد بعد الضعف إلى أن ينقضي أمره"<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الطبري، (١٣٧/٢٠).

(٢) معاني القرآن، (١٩٦/٤).

(٣) الكشاف، (٤٩٤/٣).

(٤) تفسير ابن عطية، (٣٤٨/٤).

وزاد أبو حيان في البحر المحيط: "وقيل: وهنَّ على وهن: نطفة ثم علقه، إلى آخر النشأة، فعلى هذا يكون حالاً من الضمير المنصوب في حملته، وهو الولد"<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر أبو حيان أن قوله {وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ} يحتمل أن يكون حالاً من الفاعل (الأم)، فهي الواهنة وهنَّ على وهن، ويحتمل أن يكون حالاً من الضمير المنصوب في (حملته)، أي الولد، فالواهن هو الجنين وهنَّ على وهن.

وقال السعدي: "أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد"<sup>(٢)</sup>، وقال الشعراوي: "أي: ضعفاً على ضعف، والمرأة بذاتها ضعيفة، فاجتمع لها ضعفها الذاتي مع ضعف بسبب الجنين الذي يتغذى منها، ويكبر في أحشائها يوماً بعد يوم"<sup>(٣)</sup>.

فخلاصة أقوال المفسرين في مفهوم الوهن، أنه الضعف، وقيل: الجهد والمشقة والشدة.

وأما الشيء الواهن، فقيل: الأم، وقيل الولد، وقيل هما معاً.

وأما قوله {وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ}، فبعضهم عدَّ ذلك وَهْنَيْنِ، إما باعتبار الشيء الواهن (وهن الولد على وهن الأم)، وإما باعتبار

(١) (٤١٤/٨).

(٢) تفسير السعدي، (٦٤٨).

(٣) تفسير الشعراوي، (١١٦٤١/١٩).

الصفة في حال الأم (وهن الحمل على وهن الولادة)، وفي حال الولد (وهن المراحل التي يمر بها في الرحم)، وبعضهم عدّ ذلك دلالة على مضاعفة الوهن.

### التحقيق في مفهوم الآية:

ما ذكره أبو حيان أن {وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} قد يكون حالاً من الأم، أو من الجنين. فكلا القولين يحتمله الإعراب، ولكن حملة على الأم أولى؛ لأن المقام مقام توصية بالأم، فالسياق يبين الوهن الذي عانته أثناء حملها بالإنسان. كما أن القرآن الكريم يستخدم لفظاً آخر للحديث عن الولد، وهو لفظ (الضعف)، كقوله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} [الروم: ٥٤]، {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: ٢٨].

والذي يرجح لدي في قوله {وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ}، أنهما وهنان، فالآية تتحدث عن وَهْنَيْنِ يصيبان الأم الحامل، وقد بينت في بحث آخر<sup>(١)</sup> أن القرآن الكريم يميز بين مرحلتين في خلق الجنين، المرحلة الأولى: هي الخلق الأول، (منذ أن يكون الجنين نطفة حتى تكسية العظام باللحم، تقريباً إلى نهاية الأسبوع الثامن)، والمرحلة الثانية هي الخلق الآخر، ويستمر حتى نهاية الحمل، وقد وردتا في قوله تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون: ١٤]، وإليهما أشار بقوله تعالى: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ

<sup>(١)</sup> أفعال الخلق في القرآن الكريم، وفيه ناقشت نقاشاً مفصلاً أدلة ما ذهبت إليه، وليس هنا مقام التفصيل.

أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ { [الزمر: ٦].

وفي المرحلة الأولى يكون رحم الأم مستقرًا للجنين وهي مرحلة غيض الأرحام، وفي المرحلة الثانية يكون بطنها مستودعًا للجنين وهي مرحلة الازدياد، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} [الأنعام: ٩٨].

ومن ثم فقولته {وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ} إشارة إلى وهن الأم الحامل في مرحلتي الحمل، وهو ما ألمح ابن عباس إليه إذ فسر {وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} بأنه "خلق بعد خلق"<sup>(١)</sup>، أي: وهن الخلق الأول على وهن الخلق الآخر. فهو يصف حالة الوهن في مرحلتي الخلق الأول والخلق الآخر.

ففي المرحلة الأولى (حتى الأسبوع الثامن للحمل)، تكون أبرز مظاهر الوهن التي تصيب الحامل، هي<sup>(٢)</sup>: غياب الدورة الحوضية، وما يصاحب ذلك من غثيان، وحرقة وإمساك، وتورم في الثديين، وشعور بالإنهاك والإرهاق، وكراهية أو اشتهاة أنواع من الطعام، والدوخة، والنزيف الخفيف، وتقلب المزاج، إضافة إلى القلق والتوتر النفسي.

أما في المرحلة الثانية (من الأسبوع التاسع حتى نهاية الحمل) فتظهر تغيرات جديدة أكثر وضوحاً على جسم الحامل، حيث يتمدد

<sup>(١)</sup> تفسير الطبري، (١٣٧/٢٠).

<sup>(٢)</sup> مراحل الحمل أسبوعياً، موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز العربية للعلوم الصحية، وانظر: الثلث الأول من الحمل، في الموسوعة نفسها، وأيضاً: الثلث الثاني والثلث الثالث من الحمل، في الموسوعة نفسها. وانظر: مرحلة ما قبل الميلاد، د. فاطمة الكتاني، مجلة طببيب دوت كوم. وانظر: حملته أمه وهنا على وهن، عبد المحسن صالح، ص ٨٨ - ٩٥.

البطن مع نمو الجنين، وتظهر علامات التمدد، أو تشققات الحمل، على البطن أو الثديين أو الفخذين أو الردفين، وتصيب الأم آلام جسدية، كآلم الظهر أو البطن أو المنطقة الأربية (أعلى الفخذين) أو الفخذين، أو الثديين، وتظهر بقع قاتمة على الجلد (كلف الحمل)، ويتورم الكاحلان والأصابع والوجه، وتضطرب بعض وظائف الغدد الصماء أثناء الحمل. ويسحب الجنين من دم أمه وعظامها (الكالسيوم) والمواد اللازمة لبناء هيكله العظمي؛ مما يصيبها بآلام العظام والتهابات في أسنانها، وقد تصاب بالتهاب في المجاري البولية وفقر الدم. وفي الأشهر الأخيرة من الحمل تظهر أنواع أخرى من المتاعب الناتجة عن ضغط الرحم على المعدة والكبد، وتشكو الأم من ضيق في التنفس، لأن الرحم ملاً تجويف البطن. وتختلف طبيعة انفعالاتها النفسية واهتماماتها الوجدانية عما كانت عليه من قبل. ومع اقتراب الوضع يزداد تقلص الرحم، وتكرر الانقباضات، وتشدت آلامها، حتى تضع الحامل جنينها كرهاً. قال تعالى: { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا } [الأحقاف: ١٥].

فوهن الحامل (عموماً) هو ضعف قوتها وتناقص صحتها وفتور جسمها، بعد أن كان قوياً صحيحاً نشيطاً؛ مما يؤدي إلى عجز الجسم عن القيام بما كان يقوم به من قبل، ويجد جهداً ومشقة شديدة، تزداد شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى أقصى وهنها في الأسابيع الأخيرة من الحمل. وقد تبين لنا كيف أن الآية ميزت بين مرحلتين من مراحل التغيرات التي تصيب الحامل، فلم يقل: حملته أمه وهناً؛ لأن الوهن في المرحلة الأولى (الخلق الأول) يختلف عن الوهن الثاني

من حيث شدته ونوعه. فالوهن أولاً حين يكون الرحم مستقراً للنطفة وهو أخف من الوهن الثاني، والوهن ثانياً حين يكون البطن مستودعاً للجنين، وهو أشد من الوهن الأول، ولكل منهما أعراضه المختلفة.

فألله سبحانه وتعالى أوصى الإنسان بوالديه: أبيه وأمه، ثم ذكره بحمل أمه له وهناً على وهن، ثم مشقة رضاعته عامين، ثم أمره بالشكر له ولوالديه. وبالرغم من حق والديه عليه فإن حق الله أعظم، فهو يطيعهما ولكنه لا يعصي ربه بطاعتها، بل يصاحبهما في الدنيا بمعروف. قال سيد قطب: "وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما. وهذه الصورة الموحية: { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ } ترسم ظلال هذا البذل النبيل. والأم بطبيعة الحال تحتل النصيب الأوفر وتجدد به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق"<sup>(١)</sup>.

وقد علل الشعراوي تذكير الإنسان بدور الأم دون الأب، مع أن الله وصّاه بوالديه، وذلك أن دور الأم كان والإنسان جنين ثم رضيع لا يدرك، فالأم كانت "تصنع لك وأنت صغير لا تدرك صنوعها، فهو مستور عنك لا تعرفه، أما أفعال الأب وصنعه لك فجاء حال كبرك وإدراكك للأمور من حولك، فالابن يعرف ما قدم أبوه من أجله"<sup>(٢)</sup>.

(١) في ظلال القرآن، (٢٧٨٨/٥).

(٢) تفسير الشعراوي، (١١٦٤١/١٩).

### المطلب الثالث: أسباب وهن الجسم وعلاجه

يتبين من آيات القرآن الكريم أن لوهن الجسم أربعة أسباب، هي: الكِبَر، والعوارض الطارئة كالحمل والولادة، والمرض، والآفات النفسية كالحزن والخوف.

(الشيخوخة):

قدمت الحديث عن وهن الجسم بسبب الكبر، كما في مقدمة سورة مريم، التي بينت أن من مظاهر الوهن: وهن العظم، وشيب الرأس، وخفوت الصوت، وازدياد الخوف، وضعف الخصوبة.

وقد أولى القرآن الكريم مرحلة الشيخوخة عناية خاصة، يقول د. محمد دودح: "إن أول من تنبه لظاهرة الشيخوخة كعلم مستقل هو الطبيب الفرنسي شاركوت (Charcot) عام ١٨٨١م، ولم يتبعه أغلب الباحثين إلا في القرن العشرين، ولذا نعجب أن يولي القرآن الكريم موضوع الشيخوخة عنايته قبل ذلك بأكثر من عشرة قرون، ولا تجد لهذا نظيراً في أي كتاب آخر ينسب اليوم للوحي غير القرآن الكريم، وإن إدراك خفايا الشيخوخة في عصرنا حيث توفرت التقنيات إنما هو شهادة للقرآن"<sup>(١)</sup>.

ويبين القرآن الكريم أن حياة الإنسان تمر بثلاث مراحل: الصبا والرشد والشيخوخة. وخلال هذه المراحل يبدأ نطفة، ثم يتحول إلى جنين، فطفل، فمراهق، فشاب، فراشد، فكهل، ثم إلى شيخ، فهرم فان..

<sup>(١)</sup> الشيخوخة تتكيس في الخلق، د.محمد دودح، مجلة الإعجاز العلمي.

ومن الصعوبة تحديد سن معين لبدء كل مرحلة ونهاية الأخرى، وإنما ترتبط كل مرحلة بسمات وتغيرات جسمية ونفسية وعقلية، ولذلك قد يدخل إنسان مرحلة الشيخوخة في سن مبكرة<sup>(١)</sup>.

وتقسيم مراحل حياة الإنسان إلى ثلاث مراحل، جاء استنباطا من الآية الكريمة {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم: ٥٤]، فمرحلة الضعف الأول (ضعف الطفولة والصبأ والشباب) هو ضعف التحول إلى الرشد، أما الضعف الثاني: (ضعف الشيخوخة والهرم) فهو ضعف التحول عن الرشد، وبينهما مرحلة القوة (الرشد والكهولة)<sup>(٢)</sup>.

وهناك كثير من الآيات التي تحدثت عن هذه المرحلة، والوهن الذي يعرض للإنسان فيها، سواء في قدراته الجسمية، أو في قدراته العقلية، كما قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} [النحل: ٧٠]، فأردل العمر: أوهنه، وأضعفه. قال السدي: هو حالة الخرف فيصير إلى حالة شبيهة بحال الطفل في النسيان وعدم التذكر.

فالفرء لا ينتقل مباشرة إلى الشيخوخة ببلوغه سن الستين أو الخامسة والستين (سن التقاعد الرسمي)؛ فالشيخوخة عملية تدريجية تحدث فيها التغيرات ببطء، ولعل أهم ما يتسم به هذا الطور بصفة عامة بدء تحول النمو الإنساني في الاتجاه العكسي،

(١) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، (٥ - ٦، و٥١٧).

(٢) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، (٥ - ٦، و٥١٧).

فبينما كان النمو في المراحل السابقة يتجه نحو التحسن والترقي والتنمية بمعدلات مختلفة، فإنه مع بدء الشيخوخة يبدأ التدهور بمعدلات بطيئة في البداية، ثم يتسارع هذا المعدل تدريجياً حتى يصل إلى أقصاه في طور أرذل العمر. وأكثر التغيرات وضوحاً في المظهر الجسمي للشيخوخة تتمثل في شيب الشعر، وانحناء القامة بسبب ضعف العضلات وأوتار هذه العضلات (التي تربط بين العضلة والعظم)، و(وهن العظم) متمثلاً في التكلس المتزايد في أربطة العظام، وضمور فقرات العمود الفقري، وزيادة نحافة العظام ورققتها. وقد يؤدي وهن العظم إلى نقص حقيقي في الطول، وليس مجرد نقص ظاهري نتيجة لانحناء القامة<sup>(١)</sup>.

وزكريا عليه السلام يصف حاله وقد بلغ من الكبر عتياً، قال القرطبي: "قال قتادة: جرى له هذا الأمر وهو ابن بضع وسبعين سنة. وقال مقاتل: خمس وتسعين سنة، وهو أشبه، فقد كان غلب على ظنه أنه لا يولد له لكبره، ولذلك قال: {وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا}"<sup>(٢)</sup>. وقد تحدث عن مجموعة من التغيرات الجسمية التي أصابته، وهي: وهن العظم، وشيب الرأس، وضعف الصوت.

فقوله {نَدَاءٌ حَفِيًّا} يشير إلى ضعف الصوت كما قال الرازي، حيث "يضعف الصوت تبعاً لزيادة العمر، ويفقد جزءاً كبيراً من حرارته، ويصبح مرتعشاً متقطعاً"<sup>(٣)</sup>.

(١) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، (٥٢٩ - ٥٣٠).

(٢) تفسير القرطبي، (٧٩/١١).

(٣) دراسات في سيكولوجية المسنين، عبد اللطيف محمد خليفة، (٢٣).

وأما الشيب فهو ابيضاض الشعر بفقدان مادته الملونة التي تفرزها خلايا التلوين في الجلد، فتبدأ علامات الشيب بالظهور بين سن ٣٤ - ٤٣ سنة، وهي السن نفسها التي يبدأ فيها وهن العظم، ثم يزداد الشيب تدريجياً مع تقدم الإنسان في العمر<sup>(١)</sup>.

ويقسم العلماء التغيرات الجسمية المصاحبة لمرحلة الشيخوخة أربعة أقسام، الأول: تغيرات تصيب الشكل العام للجسم، وخاصة الجلد والشعر. والثاني: التغيرات الحيوية (البيولوجية) داخل الجسم، حيث تضعف الخلايا عن البناء، وتزداد عملية الهدم، وذلك في العظم وفي غيره من الأجهزة الحيوية، كالجهاز التنفسي، والهضمي... الخ. والثالث: التغير في الحواس، فيضعف السمع والبصر والصوت واللمس، والرابع: التغير في القوة العضلية والأداء الحركي<sup>(٢)</sup>.

وأكثر التغيرات وضوحاً في المظهر الجسمي للشيخوخة تتمثل في شيب الشعر، وانحناء القامة بسبب ضعف العضلات وأوتار هذه العضلات (التي تربط بين العضلة والعظم)، و(وهن العظم) متمثلاً في التكلس المتزايد في أربطة العظام، وضمور فقرات العمود الفقري، وزيادة نحافة العظام ورققتها. وقد يؤدي وهن العظم إلى نقص حقيقي في الطول، وليس مجرد نقص ظاهري نتيجة لانحناء القامة<sup>(٣)</sup>.

(١) التاسق الهرموني في أوائل سورة مريم، مجلة الإعجاز العلمي.

(٢) دراسات في سيكولوجية المسنين، عبد اللطيف محمد خليفة، (٢٢ - وما بعدها).

(٣) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق وفؤاد أبو حطب،

فوهن العظم إشارة إلى التغيرات الحيوية (البيولوجية) داخل الجسم، وما ينتج عنها من ضعف الأداء الحركي. وشيب الرأس إشارة إلى التغيرات التي تصيب الشكل العام للجسم. وضعف الصوت إشارة إلى التغيرات التي تصيب الحواس.

ويبين د. زهير رابح قرامي، وجهاً آخر للربط بين هذه الأعراض، فيقول إن ثمة تناسقاً هُرمونياً بين الأعراض المذكورة في مطلع سورة مريم، وهي: وهن العظم، وشيب الرأس، والخوف، وضعف الخصوبة، والكبر الشديد. فكلها تتعلق بالنظام الهُرموني العصبي في جسم الإنسان، فهو نظام يربطها في وحدة متناسقة، مما يدل على أنها اختيرت من بين الأعراض الأخرى للشيخوخة، بسبب وجود هذه العلاقة التي تحكم هذه الأعراض المذكورة. فثمة علاقة بين وهن العظم وضعف الخصوبة وشيب الرأس في نقص هرمونات البناء (حال الشيخوخة)، أو زيادة هرمونات الهدم (حال الخوف)<sup>(1)</sup>. وحين تجتمع

<sup>(1)</sup> وخالصة ما في مقاله: (وهن العظم) في حالة التوتر يسببه الزيادة في إفراز هرمون (الكورتيزون)، فيوهن العظم ويضعف الخصوبة أيضاً. وفي حال الشيخوخة يكون نقص هرمون الذكورة (testosterone) سبباً في وهن العظم وضعف الخصوبة. وكذلك يكون سبباً في ضعف الصوت؛ "إذ إن هذا الهرمون يساعد الإنسان على نمو الخصيتين والعظام والعضلات، وخشونة الصوت".  
و(شيب الرأس) في حالة التوتر يسببه الزيادة في إفراز هرمونات أحادي الأمين: هرمون (الأدرينالين) في الشعر، فيضر خلايا التلونين؛ فيضعفها، فيظهر الشيب، كما أن هذه الهرمونات هي المسؤولة عن ضعف الخصوبة، حيث يزداد إفراز هرمون (السيروتونين Serotoneine) في الخصية، الذي يضر الخلايا المنوية، فيقلل إنتاجها. وفي حالة الشيخوخة يكون نقص هرمون (MSH) لوهو هرمون محفز للميلانين الذي تفرزه خلايا التلونين، سبباً في الشيب وضعف الخصوبة.

هذه الأسباب يصبح الإنجاب متعذراً، ويكون كبر زكريا مساوياً لعقم زوجته من حيث عدم قدرة كليهما على الإنجاب.

فكان مجيء الولد له - والحال هذه - معجزة كبرى، قرنها القرآن الكريم بمعجزة ولادة مريم من غير أن يمسهما بشر.

### (العوارض الطارئة):

العوارض الطارئة بسبب الحمل، أو الولادة، وقد قدمت الحديث عن وهن الحمل. وجاء وهن الولادة في قوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [الأحقاف: ١٥].

قال ابن عاشور: "والمعنى: أنها حملته في بطنها متعبة من حملة تعباً يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل. ووضعت بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعها"<sup>(١)</sup>.

---

فوجود سبب واحد من هذه يعطل إنتاج الحيوانات المنوية، فكيف باجتماعها تحت تأثير الخوف والشيخوخة معاً، حيث تتضاعف الأعراض: وهن العظم والشيب وضعف الخصوبة. [التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، موقع مجلة الإعجاز. بتصرف شديد. وانظر: نقص التستوستيرون، موسوعة الملك عبد الله للعلوم الصحية].

<sup>(١)</sup> التحرير والتنوير، (٢٦/٢٩).

## (الأمراض القلبية):

أقصد بالأمراض القلبية: كافة الأعراض التي تعرض للقلب، كالقلق والتوتر والحزن والخوف والهم والاكئاب... إلخ، ويسميتها المعاصرون: الضغوط النفسية، وبعضهم يسميها: الأمراض النفسية. وآثرت مصطلح الأمراض القلبية؛ لأن القرآن الكريم ينسبها إلى القلب لا إلى النفس.

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم، تنهى المؤمن عن الحزن أو الخوف أو الغضب أو الضيق أو الندم أو الحسرة، وتحثه على الصبر وكظم الغيظ والعفو، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]، وقوله: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: ٣٧]، وقوله: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [الأحزاب: ١٩]، وقوله: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل: ١٢٧]. وفي الحديث: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ"<sup>(١)</sup>.

ويقرر العلماء أن الأمراض النفسية تؤثر في الجسد، فالأمراض النفسية والضغوط الاجتماعية المزمنة تؤثر في مناعة الجسد

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك، رقم (٦٣٦٣)، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال. ومسلم، رقم (٢٧٠٦)، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل. واللفظ للبخاري.

ومقاومته للأمراض، وأن الضغوط النفسية قد تسهم في نشوء أمراض عضوية كالسكر والسرطان وأمراض القلب والجلطات، وغيرها من أمراض الغدد الصماء والاضطرابات الهرمونية والشيخوخة والهرم<sup>(١)</sup>.

واليوم هناك فرع في الطب يختص بدراسة التأثير المتبادل بين النفس والجسد، ويسمى: الأمراض النفسية الجسدية (Psychosomatic Medicine)، وتشير الدراسات العلمية إلى أن الخوف والاكتئاب والقلق والتوتر وغير ذلك من الضغوط النفسية تزيد من أمراض الجسم، وتدمر صحته وقلبه، وأحياناً كثيرة تكون سبب الوفاة. وهذه الضغوط النفسية تؤثر في مختلف وظائف الجسم وأجهزته، وخاصة القلب، وكذلك الجهاز التنفسي والهضمي والجلدي<sup>(٢)</sup>.

وقد بين القرآن الكريم أثر الأمراض القلبية في الجسم، قال تعالى: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} [المزمل: ١٧]. فتبين الآية أن شدة هول ذلك اليوم، وما فيه من مخاوف كبيرة، (وما يصيب الناس فيه من همّ وحزن وخوف)، كل ذلك يؤثر في جسم الوليد (الطفل) فيوهن جسمه وهنا شديداً، حتى ينقله إلى طور الشيخوخة، وما فيها من أوهان. ولا يقتصر ذلك على شيب الرأس، كما فهمها بعضهم، بل (شيب) في الآية جمع: شيبة،

(١) الهرم والهرم من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، حسن يوسف شهاب الدين، مجلة حراء.

(٢) الأمراض النفسية الجسدية، موقع (ويب طب).

كما في قوله: {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم: ٥٤]، فيراد بها حالة الشيبة (الشيخوخة) التي تصيب الجسم. ويمكن فهم هذه الآية بالنظر فيما يسميه الأطباء (الشيخوخة المبكرة)، وهي حالة تعرض للأطفال، فيبدو الطفل كما لو كان شيبة فعلاً.

وقد عني الإسلام بعلاج الأمراض النفسية، وذلك بحثّ المؤمن على الصبر والرضا بقدر الله وقضائه، والاحتساب، والطمأنينة والسكينة، وذكر الله الذي تطمئن به القلوب، كما جاء أمره بكظم الغيظ، والعفو، والصفح، والتسامح، وحسن الظن، وبشاشة الوجه، وطيب الكلام، وحسن التعامل، والدفع بالتي هي أحسن، وتطهير القلب من الحقد والحسد والغل والبغضاء والمشاحنة، واجتناب الغضب، والحزن، والهمّ، والسخط، والجزع، وربط خوفه بالله سبحانه وتعالى، ورجائه به. وأيضاً دعوته إلى العمل والنشاط والجد والمسارة في الخيرات... فكل ذلك يحفظ صحة الجسم والقلب، ويحول بينه وبين الوهن.

## المبحث الرابع: وهن القلب وأسبابه

وهن القلب انكسار حدته، فيضعف بعد قوة، ويفتر بعد عزم، ويخور بعد شجاعة. ووهن الجسم - كما تقدم - قد يكون سببه العرض الطبيعي (كالكبر أو الحمل)، وقد يكون سببه العرض المرضي، أما وهن القلب فإن سببه العرض المرضي؛ فيؤثر في أداء وظائفه، فالقوة والعزم والشجاعة، كلها وظائف يقوم بها القلب، فإذا وهن عجز عن أداء تلك الوظائف.

والقلب الواهن يختلف عن القلب المريض، فالقلب المريض - كما يتضح من استخدام القرآن الكريم - هو قلب مَرَضُهُ "إما من شبهة وإما من شهوة"<sup>(١)</sup>. ومن ثم فيوصف به قلب المنافق غالباً، ولا يطلق مرض القلب إلا على من تمكن منه المرض. أما القلب الواهن فهو قلب أصابه عرض مَرَضِيٍّ من خوف أو فتور أو تضعع.

فقلب المنافق قلب مريض، أما قلب المؤمن فقد يكون واهناً، والمؤمن نفسه يوصف بالقوة والضعف، كما في الحديث<sup>(٢)</sup>: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير". قال النووي<sup>(٣)</sup>: "والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، (٩/١).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، رقم (٢٦٦٤)، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

(٣) شرح صحيح مسلم، (٢١٥/١٦).

خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك".

ويتبع حديث القرآن الكريم عن أسباب وهن القلب، تبين أنها سببان، وهما ما وردا على لسان الصادق المصدوق الذي أوتي جوامع الكلم، فقال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>: "يوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا"، فقال قائل: وَمِنْ قَلَةٍ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاءً كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهنَ"، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حُبُّ الدنْيَا، وكرَاهِيَةُ الموتِ"، وفي لفظ لأحمد "وكرَاهِيَةُ القتالِ". قال البيضاوي: "وأراد ب(الوهن): ما يوجبُه، ولذلك فسر بحب الدنيا وكرَاهة الموت"<sup>(٢)</sup>.

فيدفعه حب الدنيا إلى الدعة والراحة، ويدفعه كراهية الموت إلى الخوف من المواجهة، فيترك الجهاد، ويتعاس عن نصره الحق، ويتثاقل عن الدعوة، ويتخلى عن الأمر بالمعروف، ويخاف من النهي

<sup>(١)</sup> أخرجه أبو داوود، رقم (٤٢٩٧)، كتاب الملاحم، باب (في تداعي الأمم على الإسلام)، من حديث ثوبان. وأخرجه أحمد، رقم (٨٦٩٨)، وحسنه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد (٣٩٦/٨)، وحسنه الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أبي داوود (٣٥٥/٦). وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير، رقم (٨١٨٣)، (١٣٥٩/٢).

<sup>(٢)</sup> تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، (٣١٣/٣).

عن المنكر.

وقد جاء حديث القرآن عن (وهن القلب) لفظاً في أربعة مواضع، هي: {وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦]، وقوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]، وقوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٠٤]، وقوله تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٥].

وسأدرسها هذه الآيات من حيث أسبابها، أما العلاج ففي المبحث الأخير.

### السبب الأول: حب الدنيا

ورد في قوله تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ} [محمد: ٣٥-٣٦].

قال البيضاوي: "{فَلَا تَهِنُوا} فلا تضعفوا، {وَتَدْعُوا إِلَى

{السَّلْمُ} ولا تدعوا إلى الصلح خوراً وتذلاً<sup>(١)</sup>. وقال البقاعي: "فَلَا تَهْنُؤُوا أَي: تضعفوا ضعفاً يؤدي بكم إلى الهوان والذل"<sup>(٢)</sup>. وقال الشوكاني: "فلا تضعفوا عن القتال، ولا تدعوا الكفار إلى الصلح ابتداء منكم، فإن ذلك لا يكون إلا عند الضعف"<sup>(٣)</sup>. وقال سيد قطب: إن هذا النهي يكشف عن وجود "أفراد من المسلمين كانوا يستثقلون تكاليف الجهاد الطويل ومشقته الدائمة وتهن عزائمهم دونه ويرغبون في السلم والمهادنة ليستريحوا من مشقة الحروب"<sup>(٤)</sup>.

وبين ابن عاشور<sup>(٥)</sup> معنى هذه الآية وسياقها، فالسورة نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد، في مدة لم يكن فيها قتال بين المسلمين والمشركين ولكن التحذير من أن يستوهنهم المنافقون عند توجه أمر القتال فيقولوا: لو سالمنا القوم مدة حتى نستعيد عدتنا ونسترجع قوتنا بعد يوم بدر. ومن ثم فالنهي عن الوهن وعن طلب السلم تحذير من أمر توفرت أسباب حصوله متهيئة للإقدام على الحرب عند الأمر بها وليس نهياً عن وهن حصل لهم ولا عن دعائهم إلى السلم. والمعنى: ادفخوا عن أنفسكم خواطر الوهن واجتنبوا مظاهره، وأولها الدعوة إلى السلم، وهو المقصود بالنهي.

فالوهن المذكور في هذه الآية، هو فتور وتثاقل وتكاسل مع

(١) تفسير البيضاوي، (١٢٥/٥).

(٢) نظم الدرر، (٢٦٣/١٨).

(٣) فتح القدير، (٤٩/٥).

(٤) في ظلال القرآن، (٦/٣٣٠٢).

(٥) التحرير والتنوير، (٢٦/١٢٩ - ١٣٠)، بتصريف شديد.

إمكان العزم، أي: لا تقفوا في الوهن فتفتروا وأنتم قادرون أن تعزموا على الجهاد. فهو نهى استباقي، وهذا الوهن سببه التعلق بالدنيا، كما يفيد سباق الآيات، حيث أعقب هذا النهي ببيان أن الحياة الدنيا لهو ولعب، فكيف تهنون لأجلها، قال الرازي في تفسير قوله {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ}: "يعني: كيف تمنعك الدنيا من طلب الآخرة بالجهاد"<sup>(١)</sup>، وقال ابن عاشور: "هذه الآية تعليل لمضمون قوله: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ}"<sup>(٢)</sup>.

وقد بين القرآن الكريم أن حب الدنيا وممتعها يوهن القلب؛ إذ يتعلق بها، فيدفعه ذلك إلى التثاقل عن الجهاد، وإيثار القعود والراحة، ولو كان ذلك القعود ثمناً لكرامته، وعزة أمته. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: ٣٨].

ومتاع الدنيا هو ما يتعلق به الإنسان فيها من الأموال والأولاد والأزواج، كما قال تعالى: {زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: ١٤].

وقد حذر الله المؤمنين من أن يدفعهم التعلق بمتاع الدنيا إلى

<sup>(١)</sup> تفسير الرازي، (٦٢/٢٨).

<sup>(٢)</sup> التحرير والتلوين، (١٣٢/٢٦).

ترك النهوض عما تقتضيه مصلحة الدين، من نصره أو هجرة أو جهاد أو دعوة، ويفصل كثيراً من مظاهر هذا المتاع، وذلك التعلق: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤]،

قال البغوي: "لما نزلت الآية الأولى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ} ... [التوبة: ٢٣]، قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجاراتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا، فنزل: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ} ... [التوبة: ٢٤]، أي: قل يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة: إن كان آبؤكم...<sup>(١)</sup>. وقال ابن كثير: "أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقربته وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد في سبيله... أي: إن كانت هذه الأشياء (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم"<sup>(٢)</sup>.

وقد عدّ القرآن الكريم الأزواج والأولاد عدواً، إذا كانوا سبباً لوهن قلب الرجل، وقعوده عن الجهاد، وتناقله عن نصره الحق، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ نَعَفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن: ١٤ - ١٥].

(١) تفسير البغوي، (٣٢٨/٢)، بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير، (١٢٤/٤).

وهذا كما في الحديث: "إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ"<sup>(١)</sup>، أي: سبب يدفع الرجل إلى البخل والجبن؛ ويؤثر الحياة الدنيا لأجلهم، فهم بهذا المعنى عدو.

ويبين القرآن الكريم أن حب الدنيا أحد أسباب الهزيمة، ومن ثم الوقوع في الوهن (من فشل أو ضعف)، قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} آل عمران: ١٥٢.

### السبب الثاني: كراهية القتال

وهذه الكراهية تنشأ بسبب الهزائم والألام والقروح التي تصيب المؤمنين، مما يؤدي إلى تسلل الوهن إلى قلوبهم، ويكون مظاهر هذا الوهن: ضعفاً بعد قوة، وجُبناً بعد شجاعة، وفتوراً بعد عزيمة، ويدفعهم ذلك إلى القعود عن الجهاد، وإلقاء السلاح، والتخلي عن نصره الحق، والرضا بالذل والهوان.

وتصور آيات القرآن الكريم هذه الحالة أبداع تصوير، في سورة آل عمران [١٢١- ١٧٩] بدءاً من الحديث عن غزوة أحد، وفيها يخاطب المؤمنين ببيان أن القروح والألام والمصاب سنة من السنن، {قَدْ خَلَتْ

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن ماجه من حديث يعلى العامري، رقم (٣٦٦٦)، أبواب الأدب، باب بر الوالد. وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على السنن (٤/٦٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (١٩٨٩)، (٤٠٠/١).

مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَّ} [آل عمران: ١٣٧]، ثم قال لهم عقبيها {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠]، ثم أشار إلى ما أصابهم من وهن حين أرجف المشركون بمقتل الرسول صلى الله عليه وسلم {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران: ١٤٤]، ثم قال: {وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهِنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [آل عمران: ١٤٦]... إلخ.

فورد لفظ (الوهن) مرتين في سياق هذه الآيات، وكلها في غزوة أحد، الأولى نهياً {وَلَا تَهِنُوا}، والثانية نضياً {فَمَا وَهِنُوا}. وكذلك الآية الثالثة في سورة النساء {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٠٤]، فقد وردت في سياق غزوة أحد<sup>(١)</sup>.

فبينت لهم الآية الأولى أن ما يصيب المؤمنين من قروح وآلام وقتل في سبيل الله إنما هو سنة من سنن الله، وهو بلاء يبتليهم الله به، وفيه خير لهم، فهو تمحيص لهم ومحق للكافرين، وهذا البلاء طريق إلى الجنة، ليبلو الله المجاهدين والصابرين. فتلك القروح والآلام لا ينبغي أن تكون سبباً في وهن قلوبهم أو حزنها، فالإيمان درع

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٧٣/٩)، وتفسير السمرقندي، (٣٣٥/١)، والتفسير البسيط، الواحدي، (٦٥/٧)، وتفسير البغوي، (٦٩٧/١)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٦٤/١)، وغيرهم.

واقٍ لهم من الوقوع في براثن الوهن، أو السقوط في مهاوي الحزن.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: " {وَلَا تَهِنُوا} أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح، وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير، وقتل من الأنصار سبعون رجلاً، {وَلَا تَحْزَنُوا} أي: على ما فاتكم".

وسياق الآيات في المقطع الثاني يتحدث عن وهن المسلمين في مشهد من مشاهد أحد، عندما أرجف المشركون بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فوهن بعضهم لذلك، وألقوا السلاح، فخاطبهم الله بأن ثمة أنبياء سابقين قد قاتلوا وقاتل معهم الربيون، فما وهنوا لما أصابهم في أنفسهم، أو في قاداتهم، من جراح أو قتل {وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} آل عمران: ١٤٦<sup>(٢)</sup>.

والوهن الذي أصاب بعض الصحابة في ذلك المشهد، هو الخوف الذي مسهم جراء ظنهم مقتل قائدهم، وتركهم القتال لذلك. ويبين هذا موقف أنس بن النضر رضي الله عنه، حين رأى

<sup>(١)</sup> تفسير البغوي، (٥١٣/١).

<sup>(٢)</sup> قوله (لما أصابهم)، أي: ما وهنوا لمصابهم، فاللام للتعليل والسببية، وتفيد أن سبب الوهن هو ما أصابهم في سبيل الله. قال الطبري في تفسيره، (٢٦٩/٧): "فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قتل منهم، عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم". وقال الماوردي في تفسيره، (٤٢٨/١): "فلم يهنوا بالخوف". وقال الزمخشري في الكشاف، (٤٢٤/١): "وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم".

بعضهم قد قعدوا عن القتال وألقوا السلاح، فقال<sup>(١)</sup>: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، - يعني المشركين - ثم تقدم» فقاتل قتالاً شديداً حتى استشهد، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه من شدة ما مُثِّلَ به. فموقف أنس بن النضر هو موقف الربيين الذين ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وقد أنكر ما صنع أصحابه حين ألقوا السلاح وتضعضوا، وجبنوا، وكان ذلك وهنهم.

وأما الآية الثالثة، {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ}، فقال الواحدي في تفسيرها<sup>(٢)</sup>: "والمراد بالقوم ههنا: أبو سفيان وأصحابه، لما انصرفوا عن أحد منهزمين، وقد قذف الله في قلوبهم الرعب، أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يسير في آثارهم بعد الواقعة بأيام، فندب النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس لذلك، فاشتكوا ما بهم من الجراحات، فأنزل الله هذه الآية".

فالوهن هنا وقع في مشهد آخر من مشاهد غزوة أحد، فبعد أن أثقلت الصحابة الجراحات، ومستهم الآلام، انتدبهم الرسول صلى الله عليه وسلم للحاق بهم؛ حتى يوهن الله كيد الكافرين، ففتروا عن ذلك وتثاقلوا لما بهم من الجراح، فنزلت الآية تبين لهم أن هذا التثاقل إنما هو وهن، وما كان لهم أن يهنوا جراء ما أصابهم من آلام وأوجاع، فالمشركون مثلهم أيضاً قد أصابتهم آلام، والمؤمنون يرجون

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري، رقم (٢٨٠٥)، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: {من المؤمنين رجال} ...

<sup>(٢)</sup> التفسير البسيط، (٦٥/٧).

من الله ما لا يرجو الكافرون فكيف يهنون؟!؟

وبهذا يتبين أن وهن القلب في هذه المشاهد كلها سببه الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في أحد، وما خلفته فيهم من آلام وأسقام، وقروح وجروح، فوهنوا لذلك، وتجلى هذا الوهن في المشهد الأول في تضعع قلوبهم وحرزها، وفي المشهد الثاني تجلى في جبن وانصرافٍ عن القتال، وفي المشهد الثالث تجلى في تناقلٍ وفتورٍ. ومرد ذلك كله إلى كراهية القتال، سواء أكانت الكراهية عن حزن أو خوف أو إعياء. أما الوهن الوارد في سورة محمد فمرده إلى حب الدنيا والتعلق بها.

وفي كل هذه الآيات جاء الوهن مقترنا بالحديث عن الجهاد والقتال، فهي تشير إلى أن الوهن (أياً كان سببه) يدفع الواهن إلى التناقل عن الجهاد، والتقاعد عن نصرته الحق، والفتور عن القيام بحق الدين من قتال أو نصرته أو هجرة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر... إلخ. وسأتناول آثار هذا الوهن وعلاجه في مباحث قادمة.

## المبحث الخامس: وهن العمل وأسبابه

ورد وهن العمل في آيتين، الأولى آية العنكبوت، حيث تحدثت عن وهن الصنعة، والثانية آية الأنفال، وتحدثت عن وهن الكيد. ووهن العمل أن ينكسر حد العمل، فيختل بعد إحكام، وينتقض بعد إبرام.

### المطلب الأول: وهن الصنعة

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤١-٤٣]. سأعرض خلاصة ما قاله المفسرون في هذه الآية، وخلاصة ما ذهب إليه باحثوا الإعجاز العلمي، ثم أعقب ببيان المثل المضروب.

### مع المفسرين

قال الفراء: "ضربه مثلاً لمن اتخذ من دون الله ولياً أنه لا ينفعه ولا يضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حراً ولا برداً"<sup>(١)</sup>. وقال أبو حيان: "والذي يظهر، هو تشبيه المتخذ من دون الله ولياً، بالعنكبوت المتخذة بيتاً، أي فلا اعتماد للمتخذ على وليه من دون الله، كما أن

<sup>(١)</sup> معاني القرآن، (٣١٧/٢)، وانظر: التفسير البسيط، للواحدي، (٥٢٦/١٧)،

وتفسير ابن عطية، (٣١٨/٤)، وإعلام الموقعين، لابن القيم، (١١٩/١).

العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى، بل لو دخلت فيه خرقتها. ثم بين حال بيتها، وأنه في غاية الوهن، بحيث لا ينتفع به. كما أن تلك الأصنام لا تنفع ولا تجدي شيئاً البتة<sup>(١)</sup>.

فوجه التشبيه السائد عند المفسرين، أن المشركين في اتخاذهم أولياء من دون الله، لا يغنون عنهم شيئاً، كالعنكبوت في اتخاذها بيتاً واهناً لا يغني عنها شيئاً. فوجه الوهن الاعتماد على شيء لا يصح الاعتماد عليه، ولا ينفع عند الحاجة إليه. قال أبو هلال العسكري في وجه التشبيه: "فالجامع بين الأمرين ضعف المعتمد؛ والفائدة التحذير من حمل النفس على التفرير بالعمل على غير أس"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عاشور: "وهذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها، فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها وتوهم أن تدفع عنهم، كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم"<sup>(٣)</sup>.

وأما قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ}، ف جاء في تفسير السعدي: "ثم لما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل

(١) البحر المحيط، (٣٥٧/٨ - ٣٥٨).

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر، (٢٤٢).

(٣) التحرير والتنوير، (٢٥٢/٢٠).

بطلانها وعدمها"<sup>(١)</sup>.

وقد ربط الزمخشري، وابن كثير مثل ضعف معتمد المشرك في اتخاذ آلهة، بقوة معتمد المؤمن في عبادة ربه، قال ابن كثير في الآية: "وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها"<sup>(٢)</sup>.

ويرى المفسرون أن قوله تعالى<sup>(٣)</sup>: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}، متعلق بأول الآية (كمثل العنكبوت)، وتكون جملة {وَأَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} معترضة بين أول الآية وآخرها؛ لبيان وجه الشبه، فهو لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى عنهم علمهم بأن ذلك (اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً) مثلهم وحالهم، فلو علموا ما فعلوا؛ ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزاً، وقدرة، فكان الأمر بخلاف ما ظنوه.

<sup>(١)</sup> السعدي، (٤٠١).

<sup>(٢)</sup> تفسير ابن كثير، (٢٧٩/٦). وفي الكشاف، للزمخشري، (٤٥٤/٣): "مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، مثل عنكبوت يتخذ بيتاً، بالإضافة إلى رجل يبني بيتاً بأجر وجص أو ينحته من صخر، وكما أن أوهن البيوت إذا استقرتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقرتها ديناً ديناً عبادة الأوثان".

<sup>(٣)</sup> إعلام الموقعين، لابن القيم، (١١٩/١)، وانظر: التفسير البسيط، للواحيدي، (٥٢٦/١٧)، والكشاف، للزمخشري، (٤٥٤/٣)، وتفسير ابن عطية، (٣١٨/٤)، والتحرير والتوير، لابن عاشور، (٢٥٣/٢٠).

## الإعجاز العلمي في الآية:

هناك عديد من الباحثين الذين كتبوا في الإعجاز العلمي في دلالة (وهن بيت العنكبوت)<sup>(١)</sup>، وثمة جدل كبير حول وجه نسبة الوهن إلى بيت العنكبوت، وهل هو البيت المادي أو البيت المعنوي (أي الأسرة والعلاقات الاجتماعية)، ويمكن إجمال ما ذكره من أوجه الإعجاز في الآية فيما يلي:

**الأول:** تخصيص (العنكبوت) بالمثل، فالعنكبوت هو الحيوان الوحيد الذي يبني بيته من خيط ينسجه بنفسه، ويفرزه من داخله، فتنسج بيتاً أشبه بشبكة الصيد.

**الثاني:** إيراد لفظ العنكبوت مفرداً، وبه سميت السورة، فالعنكبوت تؤثر الحياة الفردية، بخلاف النمل والنحل التي تعيش حياة جماعية (وجاءت تسميتها في القرآن الكريم بلفظ الجمع). وهذا الوجه يرفضه آخرون؛ حيث يرون أن الأفراد جارٍ على سنن العربية، فاللفظ مفرد، والمراد به الجنس.

<sup>(١)</sup> انظر: القرآن محاولة لفهم عصري، لمصطفى محمود، (١٩٩٩م)، و: إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، د. زغلول النجار، صحيفة الأهرام (٢٠٠٣م)، و: إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، د. صلاح رشيد في مجلة الإعجاز العلمي (٢٠٠٤م)، و: العنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم، لعبدالله محمد الشاوي، (٢٠٠٦)، و: مثل الذين اتخذوا من دون الله، لمحمد عتوك، موسوعة الإعجاز العلمي، (٢٠١٠م)، و: ردٌ لطيف على الصحفي فهد الأحمد في فهم (أوهن البيوت)، لمساعد الطيار، منشور على موقع تفسير (٢٠١٢م)، وغيرهم من الباحثين.

الثالث: نسبة الفعل (اتخذت) إلى الأنثى، وأنثى العنكبوت هي التي تضطلع أساساً ببناء البيت؛ إذ توجد في نهاية بطنها مغازل تفرز المادة الحريرية التي ينسج منها البيت، وهو لا يوجد لدى الذكر.

الرابع: المجيء بلفظ (اتخذ)، فلم يقل بنت بيتا، أو نسجت بيتا؛ لأن الاتخاذ يدل على الاختيار والاقتناء لأمر يستمر فيه، وليس لشيء مؤقت، وبيت العنكبوت سريع الزوال، يستمر ساعات أو أيام، وتقوم العنكبوت نفسها بأكل خيوط بيتها باستمرار، فبالرغم من أنها تتخذ بيتا يُفترض فيه الاستقرار والدوام، فإنه سرعان ما يزول، ويصبح طعاماً تأكله العنكبوت.

الخامس: نسبة الوهن إلى البيت لا إلى الخيوط التي ينسج منها؛ فالعلم الحديث أثبت أن خيوط العنكبوت ذات قوة هائلة تفوق الصلب، ويسمى العلماء خيوطه (الصلب الحيوي)، ونسيجها يمسك الفرائس التي هي أكبر من العنكبوت دون أن يتحرق. كما أن خيوطه ذات مرونة شديدة حتى توصف بأنها خيوط ذكية ذات قدرة على الانتقال من الصلابة إلى الطراوة والعكس.

فبالرغم من شدة الخيوط إلا أن بيته أوهن البيوت، فهو مبني من خيوط متشابكة ولكن بينها مسافات كبيرة، ومن ثم لا يقيه الحر أو البرد أو المطر، ولا يحميه من خطر المهاجمين. فالعنكبوت يتخذ من نسيجه مصائد لفرائسه، فيكون ذلك النسيج مهياً لصيدها، ثم يتخذ بيتاً.

ومن ثم فالمعنى العام<sup>(١)</sup>: أنه من يتوكل على غير الله، طالباً المناصرة والمؤازرة، فإنه بذلك يختار، ويتخذ منهجاً واهياً، وليس قوياً؛ كما قد يتصور، فالعنكبوت مثلاً تنسج بيتها بنفسها، وتعتمد بالطبع على خيوطها القوية، وتتصور أنها بذلك قد صنعت بيتاً قوياً؛ ولكنه في الحقيقة واهن وضعيف في الهواء. فكذلك هو الحال مع من يولي أمره لغير الله، ويتصور أن هؤلاء الأولياء بمجموعهم قد ينفعونه.

السادس: يرى بعضهم أن وهن البيت معنوي أيضاً، فالعلاقات الاجتماعية بين العناكب مفككة، تقوم على المصلحة المؤقتة، ثم تفترس بعضها بعضاً. فبيت العنكبوت محروم من المودة والرحمة والأمان. ويرفض آخرون هذا الوجه<sup>(٢)</sup>.

(١) مثل الذين اتخذوا من دون الله، محمد عتوك، موسوعة الإعجاز العلمي.

(٢) ردٌ لطيف على الصحفي فهد الأحمدى في فهم (أوهن البيوت)، لمساعد الطيار، منشور على موقع تفسير.

والذين يذكرون الوجه يقولون أن الأنثى بعد أن تقضي أربها من الذكر تأكله (في بعض الأنواع)، وقد تجعله طعاماً لصغارها، وقد تأكل صغارها، وقد تأكل الصغار أمهم، كما تقتل العناكب بعضها بعضاً، ويقول أحد العلماء (خيوط العناكب لتصنيع الدروع، موقع بي بي سي): "عندما تضع عشرة آلاف منها في حجرة واحدة، ستجد بعد فترة أن واحداً قبيحاً قوياً منها هو الذي يبقى، ويموت الكل من شدة المنافسة والصراع فيما بينها"، فالعنكبوت رمز الافتراس والعزلة في عالم الطبيعة. فبيت العنكبوت محروم من المودة والرحمة، فهو واهن من حيث الترابط الأسري، ويبدو للعنكبوت أنه يتخذ بيتاً آمناً، ولكنه أمان كاذب يكون مصرعه فيه.

السابع: قوله (لو كانوا يعلمون)، يرى باحثوا الإعجاز أنه متعلق بجملة {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ}، فهي أقرب مذكور، والمشركون لم يكونوا يعلمون كثيراً من هذه الحقائق عن بيت العنكبوت.

وقال عتوك أن قوله {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ} تأكيد، فهو لا يكون إلا جواباً عن جحود جاحد يقول: ما بيت العنكبوت بأوهن البيوت، ومن ثم فنفي علمهم يتعلق بأوهنية البيت.

#### بيان المثل المضروب:

(اتخذ) من أفعال التصيير التي تنصب مفعولين، والتقدير في قوله {اتَّخَذَتْ بَيْتًا} أي: اتخذت من نسجها بيتاً<sup>(١)</sup>، كقوله تعالى: {أَنْ اتَّخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا} [النحل: ٦٨].

وعليه فالمثل يقابل بين ثلاثة عناصر، الأول: المتخذ، والثاني: المتخذ منه، والثالث: المتخذ. فالمشرك اتخذ من دون الله أولياء، والعنكبوت اتخذت من نسجها بيتاً. فالمشرك يقابل العنكبوت، (ومن دون الله) يقابل (النسج)، و(بيتاً) يقابل (أولياء). والإنكار يتجه إلى الشيء المتخذ منه، لا إلى الاتخاذ نفسه؛ فالإنسان لا بد وأن يتخذ له ولياً، فإن اتخذ الله ولياً فقد أفلح، وإن اتخذ غيره ولياً فقد خاب وخسر. وكذلك العنكبوت لا بد وأن تتخذ لها بيتاً، فهي تتخذ بيتاً

(١) انظر شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك، (٨٣/٢).

من نسجها، ونسجها بهذه الحالة لا يصلح أن يكون بيتاً، ومن ثم فالنتيجة أن بيتها يكون أوهن البيوت، وكذلك المشرك تكون ولايته لغير الله أوهن الولايات؛ إذ إن مقتضى الولاية أن ينصر الولي من يواليه ويعينه ويساعده، ولكن ولي المشرك واهن، كبيت العنكبوت واهن.

فالجامع بين ركني التشبيه، هو بيان حال من يتخذ شيئاً مهماً من شيء لا يصلح (العنكبوت تتخذ من نسجها بيتاً) (والمشركون يتخذون من دون الله أولياء)، فكما لا يصلح ذلك النسيج أن يتخذ منه بيتاً، فكذلك لا يصلح مَنْ دون الله أن يتخذ ولياً. فإذا اتخذت العنكبوت بيتاً من نسجها (وهو لا يصلح)، فإن النتيجة أن بيتها يكون أوهن البيوت، وإذا اتخذ الإنسان من دون الله أولياء، فإن النتيجة أن أولياءه يكونون أوهن الأولياء. فقولهُ {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ}، يقابل: وإن أوهن الأولياء لأولياء المشركين، فلا بيت العنكبوت ينفعها، ولا أولياء المشركين ينفعونهم.

ومقتضى الولاية، كما تبين آيات القرآن الكريم، أن الولي ينصر من يواليه، ويؤيده، ويخرجه من الظلمات إلى النور، وأن يجيبه، وأن يحفظه، وأن يدافع عنه، وأن ينفعه، ويرزقه، وينجيه... إلخ. ومن ثم فالولي القوي هو من يكون قادراً على القيام بمقتضيات الولاية، فإن كان عاجزاً عن ذلك فهو (ولي واهن)، وقد بين القرآن الكريم وهن أولياء المشركين في آيات كثيرة<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> على سبيل المثال:

- { أَيْشْرِكُونَ مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا

وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ (١٩٥) إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ { (سورة الأعراف ١٩١ - ١٩٨).

- { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } (سورة هود ١٠١).

- { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ } (سورة النحل ٧٣).

- { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } (سورة الإسراء ٥٦).

- { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (سورة الحج ٧٣ - ٧٤).

- { وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ } (سورة الشعراء ٩٢ - ٩٣).

- { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا } (سورة الفرقان ٣).

- { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ } (سورة يس ٧٤ - ٧٥).

- { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ

ولما كان التشبيه يقتضي أن للمشركين أولياء واهنين كما للعنكبوت بيتاً واهناً، جاءت الآية التالية لتنفي عن المشركين وجود أولياء البتة، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} [العنكبوت: ٤٢]، ومن ثم فهي تبين أن المشركين ليس لهم إلا الوهم، يعتقدون أن معهم أولياء في حين ألا ولي لديهم في الحقيقة. فالعنكبوت أحسن حالاً منهم؛ إذ لديها بيت وإن كان واهناً، أما هؤلاء فليس لديهم أولياء أصلاً.

وعليه فالتشبيه في الآية الأولى، تنزل منزلة الافتراض، فهو يخاطب المشركين بما يعتقدون، إذ يقول لهم: أنتم تعتقدون أنكم تتخذون من دون الله أولياء، هؤلاء الأولياء [الذين توهمتم وجودهم] واهنون، أي: لو كانوا موجودين حقيقة لكانوا أوهن من بيت العنكبوت، والحقيقة أنه لا يوجد أولياء. فوجودهم وهم توهمه المشركون، فجاء التشبيه على افتراض وجود ما توهموه، ثم أعقب ببيان أن ذلك ليس إلا وهماً.

وبالرجوع إلى ما حققته في مفهوم الوهن: انكسار حد الشيء من بعد قوة متحققة أو ممكنة، مما يؤدي إلى عجزه.

فوهن بيت العنكبوت، هو خلخلته وانفكاكه، مع إمكان أن يكون بيتاً محكماً، لو أن العنكبوت أتقنت صنعتها؛ إذ الخيط قوي

---

في السَّمَاوَاتِ اثْنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أُنَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ {سورة الأحقاف ٤ - ٥}.

وهو مهياً لأن تَبني به بيتاً محكماً، وأثر هذا الوهن هو عجز البيت الواهن أن يغني صاحبه (العنكبوت)، حيث لا يؤدي الوظائف المنوطة بالبيوت، من مأوى وأمان وحماية.

ووهن أولياء المشركين، هو ضعفهم، وفي نسبة الوهن إليهم، مع أنهم لم يكونوا أقوياء حقيقة ولا من الممكن أن يكونوا أقوياء، تصوير بديع لنفسية المشركين، الذين تعلقوا بهؤلاء الأولياء وظنوا أنهم أقوياء، فكأن الخطاب يقول لهم: لو كنتم تعتقدون قوة في أوليائكم، فقد ذهب تلك القوة المتوهمة، وأولياؤكم قد وهنوا، فلم تعتمدون على واهنين؟! وأثر وهنهم هو عجزهم عن القيام بمقتضيات الولاية من نصره ونفع... إلخ. فهُم كمن اعتقد أنه قد بنى بيتاً، فإذا جاء يأوي إليه أو يحتمي به إذا به شيء آخر لا ينفعه، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً} [النور: ٣٩].

وهناك وجه آخر في بيان نسبة الوهن إلى أولياء المشركين، فالمشرك اتخذ ولياً واهناً (ضعيفاً)، مع إمكان أن يكون له ولي قوي، وهو الله سبحانه وتعالى، ولكنه عدل عن الولي القوي إلى (الولي الواهن)، مع أنه في الحقيقة لا يوجد ولي سوى الله سبحانه وتعالى، فمن اتخذ غيره فقد اشترى الوهم.

فالوهن الذي تصوره هذه الآيات هو (وهن الصنعة)، فالشيء الذي يصنعه (المشرك، أو العنكبوت) هو شيء واهن، لا يصلح أن يُتخذ للأمر الذي صنعه له (من دون الله لا يصلح أن يكون ولياً، وكذلك بيت العنكبوت لا يصلح أن يكون بيتاً)، مع إمكان أن يكون له شيء

قوي (المشرك لو اختار الله ولياً، والعنكبوت لو أتقنت صنعتها). فالعنكبوت يظن أنه أحسن صنعاً، والمشركون يظنون أنهم يحسنون صنعاً، فإذا ما جاءت نتيجة العمل تبين أن ما عملوه كان خساراً، فوهن العمل أن يعتقد العامل أنه عمل شيئاً محكماً متقناً، وفي الحقيقة أنه عمل مهلهل ومنفك ومختل، لا أساس له، ولا جدوى منه، ولذلك حين يأتي المشرك يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إلى وليه، فإن وليه يتبرأ منه، بل يضر منه {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ} [فصلت: ٤٨].

وحين يتخذ الصانع شيئاً واهناً، فيعتمد عليه، ويظن أنه سيغنيه، فإن هذا يدل على وجود خلل في الصانع نفسه، فالذي يتخذ من دون الله أولياء، وهؤلاء الأولياء واهنون حتماً، فإنما يكشف عن وهن عمله، وسوء كسبه، وفساد اختياره، فإذا اعتمد على شيء واهن فهو واهن أيضاً، كمن أسس بيته على أرض رخوة، سرعان ما يتقوض بنيانه، كما قال تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ} [التوبة: ١٠٩].

## المطلب الثاني: وهن الكيد

جاء الحديث عن وهن الكيد في قوله تعالى: { فَلَمْ تَضُلُّوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) } [الأنفال: ١٧-١٨]<sup>(١)</sup>. فسر عامة المفسرون الآية بأن الله مضعف كيد الكافرين<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عطية: "مضعف مبطل"<sup>(٣)</sup>،

وقد بينت آيات كثيرة كيد أهل الباطل بأهل الحق، وكيف يوهن الله ذلك الكيد. والكيد في اللغة "الاجتهاد في التدبير ضد الغير"، فأهل الباطل يستفرغون وسعهم، ويبدلون جهدهم، في تدبير الضرر بأهل الحق. وهم في ذلك يبنون كيدهم كما يبني البتاء بيتاً محكماً، فيُحكَمون التدبير حتى يحيق الضرر بمن يكيدونه، ويقع في شر حائلهم. فالكيد في حد ذاته إبرام للتدبير، وإحكام له، فهو يوصف بالقوة.

<sup>(١)</sup> الإشارة في قوله { ذَلِكَكُمْ }، قيل تعود إلى القتل والرمي، وقيل تعود إلى البلاء الحسن للمؤمنين، وقيل إليهما معاً. والتقدير: الغرض ذلكم أي: إبلاء المؤمنين بلاء حسناً، والغرض أيضاً توهين كيد الكافرين. أو: فعل الله ذلكم (القتل والرمي للكافرين، والبلاء الحسن للمؤمنين)، وهو يوهن كيد الكافرين أيضاً لانظر: تفسير ابن عطية، (٥١٢/٢)، والكشاف للزمخشري، (٢٠٨/٢)

<sup>(٢)</sup> تفسير الطبري، (٤٩٩/١٣)، وتفسير القرطبي، (٣٨٦/٧)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥٨٧/٥)، وتفسير ابن كثير، (٣٢/٤).

<sup>(٣)</sup> تفسير ابن عطية، (٥١٢/٢).

ومن صور كيدهم بالمؤمنين<sup>(١)</sup>: السعي في فتنهم إما بقتل أو حرق أو قتل أبنائهم، أو اضطهادهم وصرفهم عن دينهم...، وخديعتهم إما بالتظاهر أنهم يريدون لهم الخير، أو بغير ذلك من صور الخداع التي يهدفون من ورائها إلى إيقاع الضرر وإرادة السوء بالمؤمنين، وخيانتهم بأي صورة من صور الخيانة. وهكذا كل تدبير يجتهدون فيه لإيقاع الضرر بالمؤمنين.

ومن صور الكيد ما جاء في آية الأنفال {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ}، وقد أطلق المفسرون لفظ (الكيد)، إلا أن ابن عاشور خصه بكيد الكافرين يوم بدر، وهو أنهم أرادوا إلحاق الهزيمة المعنوية بالمسلمين، وقصدوا الإضرار بسمعتهم بين العرب؛ إذ لما علمت قريش بنجاة العير (وهم خرجوا لأجلها) أصروا على قدوم بدر والرقص فيها؛ ليتسامع العرب فيتساءلوا عن سبب ذلك فيخبروا بأنهم غلبوا المسلمين فيصرفهم ذلك عن اتباع الإسلام، فأراد الله توهينهم بهزمهم تلك الهزيمة الشنعاء فهو موهن كيدهم في الحال<sup>(٢)</sup>.

وبالتأمل في سياق هذه الآية في سورة الأنفال، نجد أن القرآن الكريم يبين لنا صوراً عديدة من توهين الله كيد الكافرين، ومن ذلك:

- دفع المشركين إلى المواجهة في بدر لتحقيق بهم الهزيمة

<sup>(١)</sup> وأمثلة ذلك الآيات: (غافر: ٢٥)، و(الأنبياء: ٧٠)، و(الطور: ٤٢)، و(الفيل: ٢)، و(يوسف: ٨٥)، و(طه: ٦٠). وانظر: الكيد في القرآن الكريم، ليحيى محمد يحيى، (١١ - وما بعدها).

<sup>(٢)</sup> التحرير والتنوير، (٢٩٧/٩ - ٢٩٨).

فِيهِنَّ أَمْرَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: {وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} [سورة الأنفال: ٧-٨]، وقال تعالى: {وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِثُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال: ٤٢]،

- والقاء الرعب في قلوبهم، قال تعالى: {سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} [الأنفال: ١٢]،

- وإعجازهم عن أن يستأصلوا شأفة المسلمين رغم قلة عددهم وضعفهم أيام كانوا في مكة، قال تعالى: {وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: ٢٦]،

- وإعجازهم أن ينالوا من الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]،

- وتحسيرهم على ما ينفقونه من أموال في كيدهم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٣٦]،

وقد بين القرآن الكريم في آيات عدة، أن الله موهن كيد أهل الباطل، ومبطل أثره، وأنه يكيد بهم، ويبرم لهم ما ينقض إبرامهم،

ويملي لهم، ويستدرجهم، ويجعل كيدهم في ضلال، وأن مكرهم السوء يعود فيحقيق بهم.

قال الواحدي مبيناً كيف يوهن الله كيدهم، فقال: "وتوهينه كيدهم يكون بأشياء: بإطلاع المؤمنين على عوراتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم، ونقض ما أبرموا باختلاف عزائمهم"<sup>(١)</sup>.  
 والتوهين - كما بينته: "كسر حد الشيء، بعد قوته، لإعجازه"، فيكسر الله قوة كيد أهل الباطل بعد أن يحكموا كيدهم، فيبطل أثره، وقد أوضحت هذا المفهوم.

ويتتبع آيات القرآن الكريم، وجدت صوراً كثيرة<sup>(٢)</sup> تبين كيف

(١) التفسير البسيط، (٧٤/١٠).

(٢) وأمثلة ذلك الآيات:

- {سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} (سورة آل عمران ١٥١).
- {وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (سورة آل عمران ١٧٨).
- {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (سورة المائدة ١٤).
- {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} (سورة الأنعام ٦٥).
- {وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (سورة الأنعام ١٢٩).
- {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمِلِّي لَهُمْ إِنَّ

يوهن الله كيد أهل الباطل، فتوهين الله كيدهم، أن ينقضه بعد إبرامهم، ويفكه بعد إحكامهم. فصفة توهين الكيد: إحداث الخلل فيه بعد إحكامه.

ومن خلخلة أمرهم: إغراء العداوة والبغضاء بينهم، وتفريق كلمتهم، وتسليط بعضهم على بعض، وكشف كيدهم للمؤمنين. وتوهين كيد الكائدين، يستلزم توهين قلوبهم، فيثبط عزائمهم، ويقذف الرعب في قلوبهم، ويضعف قوتهم، (ومن إضعاف قوتهم: إلحاق الهزيمة بهم، وجعل الدائرة عليهم، وتمكين المؤمنين منهم).



- 
- كَيْدِي مَتَّيْنِ { (سورة الأعراف ١٨٢ - ١٨٣).  
 - {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَانَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ { (سورة التوبة ٤٦ - ٤٧).  
 - {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ { (سورة الأنفال ١٢).  
 - {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ { (سورة الأنفال ٣٠).  
 - {لَيْتَن لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا { (سورة الأحزاب ٦٠).  
 ...الخ.

الكيد - كما ذكرت - هو الاجتهاد في التدبير ضد الغير، وقد وعد الله بأنه يوهن كيد الكافرين. فالوهن يصيب التدبير، فيتخلخل بعد إحكام، وينتقض بعد إبرام. ولذلك فمن مظاهر الوهن التي تصيب المسلمين هو وهن تدبيرهم، فتتفرق كلمتهم، ويتبعثر صفهم، ويتشتت شملهم، ويتمزق جمعهم، فيجبنوا وتذهب ريحهم، ويجترئ عليهم عدوهم، قال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال: ٤٦].

وهن العمل، لا يقتصر على الأفراد، ولكنه يشمل علاقاتهم بعضهم ببعض، مما يؤثر في المجتمع الواهن كله، فخلل الأمم يكون في تفرقها وتنازعها.



فخلاصة ما تقدم أن وهن العمل يراد به إما وهن الكيد، (كما في سورة الأنفال)، وإما وهن الولاية (كما في سورة العنكبوت)، والكافروا هن الولاية والكيد. أما المؤمن فقد يهن كيده، وإن والى غير الله وهنت ولايته أيضاً.

### المطلب الثالث: أسباب وهن العمل:

تبين مما سبق أن وهن العمل قد يعتري عمل المؤمن، وقد يعتري عمل غير المؤمن. فالمؤمنون تهن أعمالهم بتنازعهم، وتفرقهم، ويضعف توكلهم على ربهم. والمشركون تهن أعمالهم بكفرهم بالله، ومشاققتهم له ولرسوله، وقطع صلتهم بربهم، فتحبط أعمالهم.

وأسباب وهن العمل متعددة، منها:

#### السبب الأول: ضعف التعلق بالله،

ولهذا الضعف صورتان،

الصورة الأولى: التعلق بغير الله، ولذلك فأعمال المشركين من عبادة ونحوها واهنة، ولا تنفعهم؛ لأنهم وجهوها وجهة خاطئة، وبنوها على غير أساس، فانهارت بهم في نار جهنم، يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولكن أعمالهم ليست إلا سرايا، {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣]. قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: ١٧٣].

قال ابن القيم: "أعظم الناس خذلانا من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات. ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، وأوهن البيوت"<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> مدارج السالكين، (١/٤٥٥).

والصورة الثانية: ضعف التوكل على الله، وهو يتصل بالصورة السابقة، إلا أنه يختص بالمؤمنين، وكثير من آيات القرآن الكريم تبين للمؤمنين أنهم لن يظفروا بولاية الله إذا تعلقوا بسواه، ومن ذلك<sup>(١)</sup>: اتباع أهواء اليهود والنصارى، واتباع الشيطان، والاحتكام إلى غير ما أنزل الله، والركون إلى الظالمين، ونقض عهد الله، ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع الشهوات، والذنوب والمعاصي. فالله

<sup>(١)</sup> كما تدل عليه هذه الآيات:

- {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} (سورة البقرة ١٢٠).
- {وَلَا ضَلِيلَتُهُمْ وَلَا مُنِيَّتُهُمْ وَلَا مَرْئِيَّتُهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئِيَّتَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} (سورة النساء ١١٩).
- {وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} (سورة المائدة ٤٩).
- {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (سورة الأعراف ٣).
- {وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا سَسَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} (سورة هود ١١٣).
- {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} (سورة الرعد ٣٧).
- {فَخَلَفَ مِنْ بَدْوِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا} (سورة مريم ٥٩).

لا يخذل إلا من خذل نفسه، كما قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: "أسباب الخذلان من النفس وفيها". فإذا فعلوا ذلك وهن أمرهم، وتخلخل تدبيرهم، واختل نظامهم.

وهذا السبب - سواء التعلق بغير الله، أو ضعف التوكل عليه - يستوجب خذلان الله للإنسان، إما خذلاناً تاماً لمن تعلق بغيره تعلقاً تاماً، وإما خذلاناً بقدر ضعف توكله عليه، فمن خذله الله فإن أمره إلى وهن، وتدبيره إلى دمار، وعزته إلى ذل، ورفعته إلى ضعة، وقوته إلى ضعف.

قال تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ} [آل عمران: ١٦٠]. والله لا يخذل العبد إلا بذنوبه وابتعاده عن ربه، ولذلك فأكثر الناس خذلاناً هم الكافرون الذين كفروا بربهم، وتعلقوا بغيره، ووالوا سواه، فوكلهم الله إلى ما اتكلوا عليه. والمؤمنون يخذلهم الله بذنوبهم، وبمعاصيهم لربهم، وإن اتكلوا على غيره وكلهم إلى أنفسهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه حين يصبح وحين يمسي: "أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين"<sup>(٢)</sup>، فكانت النتيجة ذلك أن الله كفاه وحماه ونصره، قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [الزمر: ٣٦].

(١) الفوائد، (٢٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود عن أنس، برقم (٥٠٩٠)، والنسائي، برقم (١٠٣٣٠)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٢٧)، (٤٩٩/١).

## السبب الثاني: التنازع،

فالتنازع يسبب التفرق، والتفرق يؤدي إلى الوهن.

فنهى الله المؤمنين عن التفرق، فقال: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، وقال: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٤]، قال السعدي: "بالافتراق والتعادي يختل نظام المسلمين، وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام"<sup>(١)</sup>.

ونهاهم عن التنازع، فقال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]. قال ابن القيم: أمر الله المجاهدين بخمسة أشياء، وذكر منها: "اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها"<sup>(٢)</sup>.

فالتنازع لا محالة يؤدي إلى تفريق الصف، وتشتت الكلمة، فيهن أمر الناس. وقد بين القرآن الكريم أن من صور توهين الله كيد الكافرين: إغراء العداوة والبغضاء بينهم، وتفريق كلمتهم، وجعل بأسهم بينهم، فهو يوهن كيدهم بإغراء التنازع بينهم؛ فيتفرقون وينكسرون.

(١) تفسير السعدي، (١٤١).

(٢) الفروسية، (٥٠٦).

## المبحث السادس: أثر الوهن

هناك آثار ذاتية للوهن، وآثار غير ذاتية، فالأثر الذاتي هو الأثر المتعلق بذات الواهن، والأثر غير الذاتي هو الأثر الخارجي الذي يصيب الواهن من غير نفسه.

الأثر الذاتي يتمثل في: العجز، فالواهن يعجز عن أداء وظائفه المنوطة به، فالقلب إذا جبن عجز عن الجهاد، وإذا فتر عجز عن الجد والمسارة في الطاعة، وإذا تضعع عجز عن المقاومة. وكذلك الجسم إذا وهن، يعجز عن أداء وظائفه. وقد يكون عاجزاً عن أداء وظائفه التي يتوقع أن يقوم بها، فوهن أولياء الشركين اقتضى عجزهم عن القيام بمقتضيات الولاية لمتخذيهم.

وأما الأثر غير الذاتي، فهو ما يترتب بعد ذلك عن عجز الواهن، فحين ينتشر وهن القلب (أو وهن العمل) في أمة من الأمم، فإن أعداءها يتسلطون عليها، ويذيقونها سوء الذل والهوان. وسأقتصر في هذا المبحث على الحديث عن آثار وهن القلب والعمل في الأمة.

لقد شخّص المصطفى صلى الله عليه وسلم واقع الأمة تشخيصاً دقيقاً، وفي عبارات موجزة، تغني عن مئات المقالات وعشرات الكتب، فقال<sup>(١)</sup>: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ

(١) سبق تخريجه.

كثير، ولكنكم غُثَاءٌ كغُثَاءِ السَّيْلِ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهنَ"، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حُبُّ الدنْيَا، وكرَاهِيَةُ الموت".

فهذا الحديث أشار أولاً إلى أثر الوهن غير الذاتي، وهو تداعي الأمم على المسلمين، وبين أن هذا الأثر ليس بسبب قلة عدد المسلمين، وإنما هو نتيجة لأثر الوهن الذاتي فيهم، وهو انكسار شوكتهم، وسقوط هيبتهم. ومظهر هذا الأثر هو "الغثائية"، ثم بين محل الوهن وهو القلب، ثم بين سببه وهو حب الدنيا وكراهية الموت. وقد تحدثت عن السبب سابقاً، والحديث هنا عن الآثار.

### أولاً: الآثار الذاتية للوهن

تكمن عوامل القوة في الأمة في اجتماع كلمتها، ووحدة صفها، وإقامتها للدين، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، ونصرتها للحق، ودفاعها عن المظلوم، وأخذها على يد الظالم، واهتمامها بمعالي الأمور، ومسارعتها في الخيرات والطاعات، وشدة بأسها، وأخذهم بقوة لكل أسباب القوة. وبهذه العوامل تكون الأمة قوية، مرفوعة الجبين، مرهوبة الجانب، يهابها أعداؤها، ويخضعون لها.

فإذا دب الوهن في أمة من الأمم، فإن الوهن ينخر في كل عوامل القوة، فيتبعثر الصف، وتتفرق الكلمة، وتتنافر القلوب، ويتناقل الناس عن الجهاد، بل يعيبون المجاهدين فيهم، ويتخلون عن مقتضيات القيام بالدين، فيتقاعسون عن الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، ويفترون عن نصره الحق وأهله؛ فيعود الدين غريباً، فالصلوات تُضَيِّعُ، والشهوات تُتَّبَعُ، والمنكرات تُبْتَدَعُ، وينتشر الظلم، ويضعف أهل الحق، ويستشري اليأس في النفوس، ويستعذب الناسُ حياضَ الدنيل، ويرتعون في مستنقعات الهوان، ويغلب عليهم الاهتمام بسفاسف الأمور، ويغطون في ظلمات الجهل، ويتخلون عن حمل الأمانة، وتمزق الأواصر، وتهتري الأخلاق. وبذلك تصبح أمة "غثائية".

قال في عون المعبود: "غُثَاءُ السَّيْلِ: ما يحمله السيل من زَبَدٍ ووسخ، شبههم به لقلّة شجاعتهم ودناءة قدرهم"<sup>(١)</sup>. وقال البيضاوي: "والمعنى: ولكنكم تكونون متفرقين، ضعيفي الحال، خفيضي العقل، دنيئي القدر، كغثاء السيل"<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج: "الغُثَاءُ: الهالك البالي من ورق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زَبَدَهُ"<sup>(٣)</sup>.

فالغثاء إذن هو الورق الهالك الذي لم تبق فيه مقومات الحياة، وقد بليت نضارته، وذهب ماؤه، لا قوة له ولا وزن، يخلطه السيل بزبده ووسخه. وهذا هو حال الأمة الغثائية التي ضعفت فيها مقومات الحياة، وأصبحت بلا وزن أو قيمة، وتفرقت وتشرذمت، وخسّ قدرها عند غيرها، فأصبحت جزءاً من مخطط الأمم الأخرى، يفعلون بها ما أرادوا، ويضعونها أينما شاؤوا، كما يحتمل السيل الغثاء، فيلقيه حيث شاء.

ف"الغثائية" هي مظهر عجز الأمة الواهنة، فبعد أن كانت أمة

(١) محمد أشرف بن أمير، (٢٧٣/١١).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، (٣١٣/٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة: غ ث ا (١١٦/١٥).

"رقمية" ذات رقم في تاريخ الأمم، إذا بها تتحول إلى أمة "صفرية" لا وزن لها، أي مجرد أصفار بلا أرقام، فلا قيادة لها ولا سيادة، ولا تقدم ولا زيادة، تُجَرَّ في ذيل الركب، وخيراتها للسلب والنهب، فما يفيد قوماً إذا كان عديدهم غثاءً، وجمعهم هباءً.

وفي الحديث، يدفع الرسول صلى الله عليه وسلم توهماً اعتقده بعضهم أن القوة تكمن في الكثرة، فقال "بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء"، فليست المسألة في العدد، وإنما هو في شيء آخر، وهو حالة الغنائية التي تعيشها الأمة، فلا تهابها الأمم الأخرى، بل تصبح غنيمة باردة لمن شاء أن يلبغ في ترابها، وينهب من خيراتها. وهو بهذا يضع الأمور في نصابها، فالعدد ليس بذئ قيمة فارقة في موازين القوى، بل إن الكثرة مطمع؛ إذ هي مظنة الضعف، كما قيل للإسكندر المقدوني<sup>(١)</sup>: "إن عدوك قد عبأ جيشاً فيه ثمانون ألف مقاتل، فقال: إن القصاب لا تهوله كثرة الغنم".

والقرآن الكريم قد بين للمؤمنين بياناً واضحاً، أن المسألة لا تتعلق بالكثرة بل بعوامل أخرى، كالصبر والفقه والبصر في القتال، وغير ذلك، قال تعالى: { وَكُنْ تُعْنِي عَنْكُمْ فِئْتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ } [الأنفال: ١٩]، وقال تعالى: { إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ

(١) انظر: الإعجاز والإيجاز، للشعالبي، (٥٥). والقصاب: الجزار.

اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٦٥ - ٦٦]، ولذلك انتصر المسلمون  
ببدر وهم قلة، وهزموا بحنين وهم كثرة.

وقد سمى القرآن الكريم هذه الحالة (ذهاب الريح)، فقال  
تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ  
وَاصْبِرُوا} [الأنفال: ٤٦]. قال ابن كثير في تفسير {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}:  
"أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال"<sup>(١)</sup>، وقال أبو السعود:  
"أي: تذهب دولتكم وشوكتكم، فإنها مستعارة للدولة من حيث إنها  
في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها"<sup>(٢)</sup>. وفي حديث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق تفسير لذهاب الريح،  
"ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم"، فالأمة تفقد هيبتها،  
وتنكسر شوكتها، فلا يخشاها عدو، ولا يحرص عليها حليف.

### مظاهر الغنائية:

الأول: ترك الجهاد بالنفس والمال

تَرَكَّزَ حديث القرآن الكريم عن آثار وهن القلب، بالنسبة إلى  
المؤمنين، في ترك الجهاد والتثاقل عن القيام به، سواء أكان ذلك  
عقب ما أصابهم من قروح، كما في آيات آل عمران عقب غزوة أحد  
(انظر سورة آل عمران: ١٣٩ - ١٤٨)، أو كان ذلك طلباً للمهادنة،  
وإيثاراً للراحة، كما في آية سورة محمد قبل غزوة أحد (انظر سورة

(١) تفسير ابن كثير، (٧٢/٤).

(٢) تفسير أبي السعود، (٢٥/٤).

محمد: ٣٥)، وقد بينت آيات سورة محمد أيضاً أن من مظاهر الغنائية الشح بالمال، وعدم المبادرة إلى الجهاد به.

ومنه قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ } [التوبة: ٣٨]. وقوله عن المنافقين: { رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ } [التوبة: ٨٧]، وقوله: { فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ } [التوبة: ٨١]، وقوله: { إِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ } [التوبة: ٨٣].

#### ثانياً: الفتور عن الطاعة

ومنه الحديث<sup>(١)</sup>: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله"، فالوهن يتسلل إلى القلب رويداً رويداً، وكلما ازداد الوهن ازدادت آثاره، فلا يزال الوهن يتمكن من الشخص حتى يؤخره عن كل خير، ويثبطه عن كل طاعة، ويقعده عن كل مكرمة.

والوهن كما بينت سابقاً أحد مظاهره الفتور، والفتور يقابل العزم، والله أشنى على عباده بالعزم والمسارة والسباق والتنافس في الخيرات، كما قال: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ } [الأنبياء: ٩٩]، وقال: { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: { وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } [آل عمران: ١٨٦]،

<sup>(١)</sup> رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري، رقم (٤٣٨)، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف.

وقال: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: {لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدثر: ٣٧].  
قال ابن عباس: "من شاء اتبع طاعة الله، ومن شاء تأخر عنها"<sup>(١)</sup>، وقال  
الزمخشري: "المراد بالتقدم والتأخر: السبق إلى الخير والتخلف  
عنه"<sup>(٢)</sup>. فالتقدم هو المسارعة في طاعة الله، والجد فيها، والتأخر هو  
التناقل عن الطاعة، والفتور فيها. والإنسان يوم القيامة ينبا بهما  
معاً، قال تعالى: {يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [القيامة: ١٣].  
فأثر الوهن هو التأخر والتعاس والتواني عن الطاعات.

### ثالثاً: التفرق والتمزق

بين القرآن الكريم أن توهين الله لكيد أهل الباطل، سيكون أثره  
في عدم تحقيق أهدافهم، وعجزهم عن نيل مرادهم، ويرتد بغيهم على  
أنفسهم، ويحقيق مكرهم بهم... إلخ، كما تبين ذلك كثير من آيات  
القرآن الكريم. كقوله تعالى: {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ  
يُؤْتُوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} [آل عمران: ١١١]، و{وَإِن تَصْبِرُوا  
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} [آل عمران: ١٢٠]، و{فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ  
الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} [النساء: ٧٦]، و{إِنَّمَا  
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩]، و{وَأَرَادُوا  
بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ} [الأنبياء: ٧٠]، {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ  
فِي تَضْلِيلٍ} [الذيل: ٢]... إلخ.

(١) تفسير الطبري، (٣٥/٢٤).

(٢) الكشاف، (٦٥٤/٤).

وعلى ذلك يقاس، إذا أصاب تدبيرَ المؤمنين وهنّ، فسنن الله تجري على خلقه، وسيكون أثر ذلك هو تفرقهم وتشتت صفهم، وتمزق وحدتهم، واهتراء نسيجهم، وانتشار الضغائن بينهم، وتدابيرهم، وتقاطعهم.

وهذا من أسوأ آثار الوهن التي تحل بالأمم، وهذا هو المظهر الحقيقي لذهاب الريح، كما بينته آنفاً. وقد جاءت كثير من آيات القرآن الكريم تحذر المؤمنين من التفرق وتدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله، والاتحاد حوله، وامتن عليهم بتأليف قلوبهم.



فالخلاصة أن المظهر العام لوهن الأمة، يتمثل في أربعة أعراض: الضعف (التضعف)، والجبن، والفتور، والاختلال. فإذا أصيبت الأمة بهذه الأعراض فإنها قد أصبحت غثاء كغثاء السيل، فيخفّ وزنها، وترخّص قيمتها، وتذهب ريحها. وعندئذ لا تكون إلا قصعة تتداعى عليها الأمم.

## ثانياً: الآثار غير الذاتية للوهن

أول هذه الآثار هو ما جاء في الحديث السابق: "يوشك الأممُ أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها"، فهذا التداعي هو نتيجة لوهن الأمة، ولو لم تهن الأمة لما تداعت عليها الأمم، كما قال تعالى: {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً} [النساء: ١٠٢]، فميلتهم على المسلمين لا تكون إلا نتيجة لغفلة المسلمين أولاً، وهذا يوضحه قوله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} [آل عمران: ١٦٥]. أي: "قلتم: من أين لنا هذا الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟ {قل} لهم {هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} لأنكم تركتم المركز فخذلتم"<sup>(١)</sup>.

فالقرآن يبين للمسلمين أن تمكن المشركين منهم إنما كان بسبب أنفسهم. ومن ثم فلا ينبغي للمسلمين أن يضحمو الآثار غير الذاتية وينشغلوا بها، ويعتقدوا أن هزائمهم ومصائبهم سببها المؤامرات التي تحاك لهم، والمكر الذي يُبرم لهم. ويجب التفريق بين "الخطاب الغيبي" و"الخطاب التغييري"،

ف"الخطاب الغيبي" يرد سبب المشكلة إلى "الغير"، ومن ثم يُعفي نفسه من المسؤولية ويلقي التبعة على غيره، فهو لا يفيد الأمة المسلمة اليوم، ولا يلجأ إليه إلا الواهنون الذين يريدون التنصل من مسؤولياتهم، والبحث عن شماعية يعلقون عليها مشاكلهم.

<sup>(١)</sup> تفسير الجلالين، (٩٠).

أما "الخطاب التغييري"، فيحاسب النفس على المشكلة {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}، ويبحث عن أسباب الضعف وآثاره الناشئة، ويتعرف على مدى مسؤولية النفس في ذلك، ومن ثم يسعى إلى تغيير نفسه، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١].

وقد جاء في الحديث: "لئن تركتم الجهاد، وأخذتم بأذنب البقر، وتبايعتم بالعين، ليلزمتكم الله مذلة في رقابكم، لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه"<sup>(١)</sup>. فجعل الذل والهوان محصلة لترك الجهاد والتهاون في إقامة الدين، قال الشوكاني<sup>(٢)</sup>: "وسبب هذا الذل، والله أعلم، أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين، عاملهم الله بنقيضه، وهو إنزال الذلة، فصاروا يمشون خلف أذنب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان".

قال شكيب أرسلان يصف حال المسلمين أثناء غزو الأوروبيين لهم: "فمن المسلمين فئات قد وقر في أنفسهم أن الإفرنج هم الأعلون على كل حال، وأنه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه، وأن كل مقاومة عبث، وأن كل مناهضة خرق في الرأي، ولم يزل هذا التهييب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين أمام الأوروبيين إلى أن صار هؤلاء لأي

<sup>(١)</sup> أخرجه أبو داود عن ابن عمر، برقم (٣٤٦٢)، أبواب الإجارة، باب في النهي عن العينة، وأخرجه أحمد واللفظ له، رقم (٥٠٠٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١١)، (٤٢/١).

<sup>(٢)</sup> نيل الأوطار، (٢٤٦/٥).

الإفرنج] يُنصرون بالرعب، وصار الأقل منهم يقومون للأكثر من المسلمين، وهذا بعكس ما كان في العصر الأول"<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه وتعالى قد أمر المسلمين أن يغيروا ما بأنفسهم، وأن يصلحوا أمرهم، وأن يوحدوا صفهم، وأما كيد أهل الباطل فليس لهم، بل تكفل الله بتوهمه {ذِكْمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: ١٨]، وتكفل بإضعافهم وإرعابهم {سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} [آل عمران: ١٥١]، وبتشتيت شملهم وتمزيق كلمتهم {فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} [المائدة: ١٥]، وكشف عورتهم وفضح خداعهم {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} [الأنفال: ٦٢]... إلخ.

وسأنظر في عجالة إلى تجليات تداعي الأمم على المسلمين، حيث يتجلى هذا التداعي في جانبين:

**الأول: التداعي العسكري والسياسي،** وقد بدأ بحصار أطراف دار المسلمين منذ أكثر من ثلاثة قرون، واستمر التداعي حتى وصلوا إلى قلب دار الإسلام، واحتلوا القدس، وخلال هذه القرون احتلت معظم دار المسلمين، من غربها إلى شرقها<sup>(٢)</sup>، وأسقطت الخلافة، واحتلت القدس ولا زالت، وفُرضت على دار المسلمين حدود جغرافية مزقت نسيجها، وفككت أوصالها، فلم تعد داراً واحدة بل أصبحت دياراً، ولم تعد خلافة بل أصبحت دويلات، وتحققت سيطرة الأمم

(١) لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟، (٧٧).

(٢) انظر: الضربات التي وجهت للانقراض على الأمة الإسلامية، لأنور الجندي،

(هولندا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وروسيا...إلخ) على أرض المسلمين.

وتمثل تداعيتهم في اتفاقهم على اقتسام البلدان بينهم، فأخذ كل منهم حصة واحتلها، ثم رجعوا واتفقوا على رسم الحدود بين المسلمين، ولا زال المسلمون خاضعين لذلك حتى اليوم.

وبالرغم من تحرر كثير من أرض المسلمين، إلا أن الأمم استمرت في هيمنتها وفرض وصايتها على المسلمين، وقد ضمنت تبعية المسلمين لهم بصور شتى.

ووصلت هيمنة الأمم على المسلمين إلى حد الهيمنة الثقافية، وفرض المناهج التعليمية، والنماذج الذهنية، والأنماط الاجتماعية، {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧].

والثاني: التداعي الاقتصادي، فما فتئت تلك الأمم منذ سيطرتها على دار المسلمين، وهي تمتص ثرواتهم، وتنهب خيراتهم، وكأنها "قصة" أعدت لهم، فأصبحت غنيمة لا حامي لها، وغنماً سارحة لا ذائد للذئاب عنها.

فطوال القرون الماضية، قام الأوروبيون - ولا زالوا - بسرقة ثروات المسلمين الطبيعية من الذهب والمعادن والبتروال التي نقلوها إلى أوروبا مواد خام، ثم ساقوا الأيدي العاملة من أبناء أفريقيا السوداء، ثم ردوا المواد الخام بعد تصنيعها لكي يشتريها المسلمون مرة ثانية. كما اتجهوا إلى تخريب الصناعات الوطنية وتجريد المسلمين

منها بصورة أو بأخرى. وحين خرج المسلمون من مرحلة "الاحتلال" العسكري خرجوا وهم منهكون اقتصادياً، ثم أُدخل العالم في عصر جديد من "الاحتلال الاقتصادي"، فأنشئت مؤسسات دولية لتستكمل مهمة امتصاص الثروة، كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وغيرها من المنظمات ذات الأسماء البراقة، وأخيراً تنهب الثروات تحت مسمى "القروض الدولية"<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر الاحتلال الاقتصادي أيضاً: سرقة عقول المسلمين المفكرة، بتهجيرها - كرهاً أو طوعاً، ليصب إنتاجها في مصلحة الأمم الأخرى، ومن ثم تُجفّف المنابع العلمية للمسلمين.

---

<sup>(١)</sup> الاستعمار الاقتصادي بأسلوب المنح والقروض، أ.د. سعد الدين السيد صالح، منشور على موقع الألوكة.

## المبحث السابع: علاج الوهن

الوهن أخطر الأمراض التي تعصف بالأمة، فتُذهب ريحها، وتجعلها ركاماً من غشاء، وقد عني القرآن الكريم بتفصيل مظاهر هذا المرض وأسبابه وآثاره وعلاجه. وأسباب وهن القلب كما تقدم تتمثل في: حب الدنيا وكراهية الموت، وأسباب وهن العمل تتمثل في: ضعف التعلق بالله، والتنازع. فتظهر آثار الوهن في الواهن، وتتلخص الآثار الذاتية في "الغثائية".

والغثائية حالة تصيب: إدراك الواهن، وقلبه، وعمله؛ فإذا وهن إدراكه اضطربت تصوراتهِ واختلط إدراكه وفسد تقييمه للأُمور، وإذا وهن قلبه تضعضع وجبن وفتن فيشقى عليه الجهاد ويثقل عليه الحق ويضيع الدين ويفتر عن نصرته ويرضى بالذل والدونية، وإذا وهن عمله تمزقت الأواصر وتشتت الشمل وساء العمل.

وعلاج الوهن يهدف إلى إزالة الأسباب التي أدت إليه، وقد فصل القرآن الكريم علاج الوهن تفصيلاً؛ حتى يحذّر الناس الوقوع فيه، وإن وقعوا فيه سارعوا في علاجه. وسأعرض علاج الوهن في ضوء ثلاثة مكونات: (العلاج الإدراكي): ما الذي ينبغي أن يدركه الواهن؟ و(العلاج القلبي): ما الذي ينبغي أن يمتلئ به قلبه؟ و(العلاج السلوكي): ما الذي ينبغي أن يعمل به؟.

## أولاً: العلاج الإدراكي

سبب وهن القلب: حب الدنيا وكرهية الموت، والواهن لا يريد أن يُفصح عن هذا السبب، بل يسمي الأشياء بأسماء أخرى، فيسمي الضعفَ حكمةً، والشجاعةَ تهوراً، والجبنَ حزمًا، والتوانيَ تأنيًا، والعزمَ سفاهةً، والتشردمَ وطنيةً، والرضا بالذل واقعيةً... إلخ. وقد يفعل ذلك عن قصد أو جهل، ليبرر لنفسه حالته الواهنة، ويقنعها أنه ليس بحاجة إلى علاج، والحقيقة أنه ينكر المرض بتبريرات شتى، ويستمرئ مذاقه، بل يرى أن عدوه إنما هو الطبيب الذي يحاول علاجه. فالعلاج يبدأ بتصحيح إدراك الواهن، وتقويم ميزانه؛ حتى تنقش الغشاوة عن قلبه، ويبصر حقيقة المخاطر التي تحيق به، ويعلم أين وجهته التي ينبغي أن تتجه بوصلته إليها.

كان علاج القرآن الكريم للواهن، فيما يتعلق بالإدراك، بأن يفقه أربع سنن: سنة الموت والحياة، وسنة مداولة الأيام، وسنة البلاء والمصيبة، وأخيراً رسالة المسلم ووظيفته في الحياة.

(سنة الموت والحياة):

(حقيقة الموت):

(١)

يقرر القرآن الكريم أن كل نفس ذائقة الموت، ولا تموت نفس إلا بإذن الله، فهو قدر من أقدار الله، يموت الإنسان على فرشه كما يموت على سرجه فرسه، ومن ثم فلا القتال يجلب الموت، ولا القعود يدفعه أو يؤخره، وما أصاب الإنسان من خير أو شر، ومن نصر أو

هزيمة، ومن حياة أو موت، فكل ذلك من عند الله.

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا} آل عمران: ١٤٥،

وقال تعالى: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} آل عمران: ١٥٤،

وقال تعالى: {أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ} [النساء: ٧٨].

**والفرار من الموت أو القتل ليس بنافع فاعله، "ومن لم يمت**

**بالسيف مات بغيره"**

قال تعالى: {قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَأ تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: ١٦- ١٧].

(٢)

**ودعوى أن القعود عن القتال يمنع الموت هي دعوى من لا يؤمن**

**بقضاء الله، فسواء مات المرء أم قتل في سبيل الله، فمصيره واحد، وهو**

**الحشر إلى ربه، ويستوجب أجره بما قدم من عمل.**

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ} آل عمران: ١٥٦ - ١٥٨.

**والذين يدعون ذلك إنما يحاولون تغطية جبنهم وخشيتهم**

من الناس، والله أحق أن يخشوه، ويخفون الرعب الذي يسكن أفئدتهم، وضعفهم عن المواجهة، ففي حال الخوف يُخدّلون المؤمنين، ويثبطونهم، ويرمون المجاهدين بالتهور والطيش، وأنهم يائسون من الحياة، ويزعمون أنهم لا يريدون للناس الهلاك، وفي حال الأمن يتصدرون المشاهد ويدعون لأنفسهم "المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك" (١)

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: ٧٧]

وقال تعالى: { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا } (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا } [الأحزاب: ١٨ - ٢٠].

(٣)

ويدرك المسلم أن قائده (وخير القادة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، إنما هو بشر، يذوق الموت كما يذوقه غيره، فإذا مات أو قتل فينبغي ألا يفت ذلك في عضد أتباعه، وألا يضعفوا أو يستكينوا، بل

(١) تفسير ابن كثير، (٣٩٠/٦).

يصبرون، ويستمرّون في جهادهم وإقامة الدين، فالمبادئ لا تموت بموت الأشخاص.

قال تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } لآل عمران: ١٤٤.

### (حقيقة الدنيا):

(٤)

يقرر القرآن الكريم أن هذه الدنيا - التي يتعلق بها الإنسان فتمنعه من القتال، وتُبعده عن العمل، وتدفعه إلى التناقل عن الطاعة - ليست إلا متاعاً زائلاً، لهواً ولعباً، سرعان ما يزول، وتذهب كل لذائذها، وتفنى شهواتها، وأما دار الخلود فهي الجنة،

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: ٧٧]،

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ } [التوبة: ٣٨]،

وقال تعالى: { فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ } (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ } [محمد ٣٥ - ٣٦].

(٥)

وقد جعل الله الدنيا دار ابتلاء، ولم يجعلها دار جزاء، وما يحصل فيها من رفعة قوم أو ضعة آخرين لا يعني أن هذا هو الجزاء، ولا يعني ذلك أن من غلب فقد أثيب ومن غلب فقد عوقب، ومن فاز فيها فلا يعني أنه قد فاز، إنما الفائز من دخل الجنة

قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} آل عمران: ١٨٥.

وعليه فلا يحزن المؤمن حين يرى تنعم أهل الكفر في الدنيا، فذلك مبلغهم من المتاع،

قال تعالى: {لَا يَغْرُنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسُوسُ الْمُهَادُّ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨،

قال أبو السعود: "{لَا يَغْرُنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}" بيان لقبح ما أوتي الكفرة من حظوظ الدنيا، وكشف عن حقارة شأنها، وسوء مغبتها، إثر بيان حسن ما أوتي المؤمنون من الثواب"<sup>(١)</sup>.

(٦)

كما جعل الله الدنيا مزرعة، يزرع الإنسان فيها ما شاء، والحصاد لن يكون فيها، بل سيكون في دار أخرى، ففيها يُوفى المزارع أجر عمله، فمن زرع خيراً حصد خيراً، ومن زرع شراً حصد مرارة

<sup>(١)</sup> تفسير أبي السعود، (١٣٥/٢).

وحسرة وندامة. فليس للإنسان إلا ما قدم من سعي، والله لن يظلم

الإنسان مثقال ذرة من عمله،

قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} آل عمران: ١٨٥.

(٧)

ومن ثم فلا ينبغي أن تكون الدنيا وشهواتها ومتاعها معوقاً يعيق الإنسان عن الجهاد وعن إقامة الدين، فنجاة الإنسان في الدنيا مرهونة بكسبه، ولن يفوز إلا من سلك طريق الجنة، وكل شيء يعيق الإنسان عن الفوز بالجنة فإنه عدو له، ولو كان زوجه وولده.

قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أُوذِيْتُكُمْ بَخِيرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ} آل عمران: ١٤ - ١٥،  
وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} التباين: ١٤ - ١٥.

(٨)

فالعاقل من يعرف دار مستقره فيشتريها، ويعرف دار منتقله فيقيم فيها إقامة الغريب الذي يحن إلى وطنه، وبذلك يظل المؤمن مرتبطاً بدار المقام والخلود، لا بدار الفناء والرحيل.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ  
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ  
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]،

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ  
عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ  
وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ  
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصف: ١٠ - ١٢].

(٩)

والقرآن الكريم يذكر الناس بغايتهم، وهي الجنة، فالناس قد  
ينسون هذه الحقيقة، وهم في وطأة العيش في الدنيا، ويحسبون أن  
الفوز فيها لمن استعلى في الأرض، أو امتلك القوة أو حاز الثروة، حتى  
تصبح هذه معايير الفوز والنجاح، فالإنسان الناجح - في نظر بعض  
الناس - هو الذي يحقق أكبر قدر من مكاسب الحياة الدنيا،  
فالقرآن الكريم يعيد توجيه إدراك الإنسان إلى الحقيقة، أن الفوز إنما  
هو لمن دخل الجنة، ولا يدخل الجنة إلا من سعى لها سعيها وهو  
مؤمن.

(١٠)

إن السبب الأول للوهن هو حب الدنيا وكراهية الموت، وهذا  
يدفعه إلى الفرار من الموت، ثم يؤدي به إلى نسيان الموت، ونسيان ما  
وراءه. وعلاج الوهن يقتضي تغيير منظار المؤمن للدنيا والآخرة،  
فالموت هو طريقه إلى دار المستقر، ومن استعد للجنة لا يكره الطريق  
إليها، إنما يكرهه من كان مفلساً،

قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَنَجْذِبَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ٩٤ - ٩٦]،

وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجمعة: ٦ - ٨].

**فحرص الإنسان على الحياة وكراهيته للموت يبين أنه غير مستعد للقاء ربه، وأنه قد نسي الله ونسي لقاءه. وقد لخص خالد بن الوليد هذه الحالة في المؤمنين المجاهدين، الذين طهروا أنفسهم من الوهن، فقال للفرس<sup>(١)</sup>: "والذي لا إله غيره لأبعثنَّ إليكم قوماً يحبون الموتَ كما تحبون الحياة". وحب الموت لا يعني البحث عنه، كما سيأتي، بل توطين النفس عليه. وبهذا ندرك حديث القرآن الكريم المستفيض عن اليوم الآخر، و«ما أعد الله للمؤمنين من جنات، وما أعد للكافرين من سعير، حتى لا ينخدع الناس بالمتاع الزائف الذي هم فيه، ولا تقسو قلوبهم أن طال عليهم الأمد».**

<sup>(١)</sup> تاريخ الطبري، للطبري، (٣/٣٤٦).

## (سنة مداولة الأيام):

يبين الحق سبحانه وتعالى أن الأيام يداولها بين الناس، فمرة ينتصر أهل الحق، ومرة يغلب أهل الباطل، ومرة تصيب المسلمين الهزيمة والقروح والجراحُ وذهابُ النفوس وتلفُ الأموال، ومرة يصيب أعداءهم ذلك الأمر. فكما يألم المسلمون يألم الكافرون. فالألم مشترك بين الطرفين، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، فإن قروح المسلمين وجراحهم وبلاياهم لها ثمنها، من قُتل منهم فله الجنة، ومن أصيب في مال أو ولد فله ثوابه عند ربه، ولن يضيع ما عمله من عمل، ثم إن المؤمنين أهدافهم سامية وقيمهم رفيعة، وغايتهم الجنة، فأبي الفرقين أولى بالصبر واجتناب الوهن؟!

قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدُأُولَهَا بَيْنَ النَّاسِ} آل عمران: ٤٠،

وقال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} النساء: ١٠٤،

وقال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [التوبة: ١٢٠ - ١٢١]،

وقال تعالى: {فَإِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْخَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ

يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ  
عَرَفَهَا لَهُمْ {لمحمد: ٤ - ٦}.

قال السعدي<sup>(١)</sup>: "فما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك".

وسنة "مداولة الأيام" اقتضاها أمر الله سبحانه وتعالى، فمنذ هبوط آدم من الجنة، بدأ الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، وبهذا الصراع يتحقق البلاء للمؤمنين، وتتحقق الفتنة للكافرين، فيستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم ليزدادوا إثماً، فليس في نصر حقه الكافرون دلالة على علو باطلهم، إنما هو انتفاخ ساعة، وليس في مصيبة أمت بالمسلمين دلالة على هوانهم، إنما هو البلاء الحسن.

قال تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} لآل عمران: ١٣٧. وقال: {وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلٍ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} لآل عمران: ١٤٦ - ١٤٧. وقال: {وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِنَفْسِهِمْ إِنََّّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} لآل عمران: ١٧٨، وقال: {لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦)}

(١) تفسير السعدي، (١٩٩).

مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ  
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ { لآل عمران: ١٩٦ - ١٩٨ }،

وقال: { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى  
وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَلِكَُمْ وَأَنَّ اللَّهَ  
مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ } { الأنفال: ١٧ - ١٨ }.

وإدراك المسلمين لهذه السنة يدفعهم إلى أن يسيروا في الأرض،  
ويبحثوا في التاريخ، وينظروا في عوامل القوة والضعف، وأسباب  
النصر والتمكين، وأسباب الهزيمة، فلا يغتروا بإيمانهم، بل لا بد من  
العمل، فلو يشاء الله لانتصر من أعدائهم، وفي الوقت نفسه لا يتكلموا  
على عملهم ويعتقدوا أنهم به ينصرون، بل لا بد من التوكل على  
الله. وهذه السنة "مداولة الأيام" كالوتر الذي يشد المسلمين إلى  
حقائق الموت والحياة وسنن النصر والتمكين وفقه البلاء وتذكيرهم  
برسالتهم وأهدافهم وغايتهم في الحياة، فهي فلترٌ مستمرة لهم؛ كي  
لا يطغيهم حال النصر، فيلهيهم وينسيهم الدار الآخرة، وتُزيّن لهم  
شهوات الدنيا.

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: "ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه  
عليه، وغلبته له، وأذاه له في بعض الأحيان: أمر لازم، لا بد منه، وهو  
كالحر الشديد، والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا  
أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال  
والبهائم، لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا

<sup>(١)</sup> إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (١٨٩/٢).

العالم عن الشر، والنفع عن الضر، واللذة عن الألم، لكان ذلك عالماً غير هذا، ونشأة أخرى غير هذه النشأة، وكانت تقوت الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر، والألم واللذة، والنافع والضار، وإنما يكون تخليص هذا من هذا، وتمييزه في دار أخرى، غير هذه الدار، كما قال تعالى: {لِيَمَيِّرَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ} [الأنفال: ٣٧].

### (سنة البلاء والمصيبة):

وهذه السنة تنمة للسنة السابقة، ويختص البلاء بما يصيب المؤمن من خير أو شر، ومن حسنة أو سيئة، قال تعالى: {وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء: ٣٥]، والقرآن الكريم يستخدم لفظ (البلاء) مع المؤمنين. فعامة الآيات التي ورد فيها لفظ (البلاء) و(الابتلاء) اسماً أو فعلاً، تختص بالمؤمنين، وهناك آيات ترد عامة ويقصد بها جنس الإنسان من حيث إنه مكلف، فهي تبين السنة التي اقتضاها الله في خلقه، كقوله {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبَاتِيَةٍ} [الإنسان: ٢]. ولم يقترن اللفظ مع غير المؤمنين.

وأما المصيبة فهي المكروه الذي يصيب الإنسان بسبب منه، سواء مؤمناً كان أم غير مؤمن - كما يتبين من استخدام القرآن الكريم. و(المصيبة) قد ترد اسماً، فهي بالمعنى المذكور، وقد ترد فعلاً (أصاب، يصيب)، فتشمل الإصابة بالخير أو الشر، كما في قوله: {وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} [النساء: ٧٨]، وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى

حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ {  
[الحج: ١١].

وتخصيص معنى (المصيبة) بالمكروه الذي يصيب الإنسان بسبب منه، يحلّ الإشكال الذي يورده بعضهم في قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: ٣٠]، مع ما يروونه من آلام تصيب الأطفال والحيوانات التي لا تكليف لها ولم تكسب يدها، فيسعون إلى الجمع بينهما. ويحل ذلك القول إن (المصيبة) لا تطلق على الآلام التي تصيب الأطفال أو الحيوانات أو حتى بعض الكافرين المكلفين، كالموت، وإنما يطلق على هذه الحالات: (قضاء الله وقدره).

فالخلاصة أن لفظ (القضاء والقدر) يشمل كل حادثة تحدث خيراً كانت أو شراً، على الناس أو غيرهم، على المؤمنين أو غيرهم، على المكلفين أو غيرهم. و(البلاء) يختص بالمؤمنين، و(المصيبة) تختص بالمكروه الذي يصيب المكلفين من المؤمنين أو غيرهم، بسبب منهم.

وعامة آيات القرآن الكريم تبين أن المصائب إنما يصاب بها الإنسان جرّاء ما قدمت يداها، فهي بمعنى "العقوبة"، ولذلك سمي الله ما أصاب المسلمين في أحد من هزيمة: مصيبة، وبلاء؛ فهو مصيبة لأن الهزيمة بسبب تقصير الرماة، وهو بلاء ابتلى الله به المؤمنين. قال: {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} [آل عمران: ١٥٢]، وقال: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} [آل عمران: ١٦٥].

ومن سننه في البلاء: تمييز الخبيث من الطيب، وتمحيص المؤمنين، فيتبين الصادقون من الكاذبين، والمؤمنون من المنافقين، والمجاهدون من القاعدين، ويبلو الله صبر الصابرين، وتظهر الصفوف من المرجفين... والآيات على ذلك كثيرة، كقوله:

{وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيَمْحَسَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} لآل عمران: ١٤٠ - ١٤٣، وقوله: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النُّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} لآل عمران: ١٦٦ - ١٦٨، وقوله: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدْرِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} لآل عمران: ١٧٩.

وقوله: {أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢ - ٣].

وقوله: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: ٣١].

قال ابن تيمية<sup>(١)</sup>: "والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة، فمن الحكم تمييز المؤمن عن غيره،

<sup>(١)</sup> شرح العقيدة الأصفهانية، (١٤٥)، بتصرف.

فإنهم إذا كانوا دائماً منصورين لم يظهر لهم وليهم وعدوهم، إذ الجميع يُظهرون الموالاتة فإذا غلبوا ظهر عدوهم، ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء فإن منزلة الشهادة منزلة عليّة في الجنة، ومن ذلك أن يمحّص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب فإنهم إذا انتصروا دائماً حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة والهوان".

وقال ابن القيم<sup>(١)</sup>: "ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم، وقهرهم، وكسرهم لهم أحياناً فيه حكمة عظيمة، لا يعلمها على التفصيل إلا الله عز وجل. فمنها: استخراج عبوديتهم وذلهم لله، وانكسارهم له، وافتقارهم إليه، وسؤالهم نصرهم على أعدائهم، ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا، ولو كانوا دائماً مقهورين مغلوبين منصوراً عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة، ولا كانت للحق دولة... ومنها: أنهم لو كانوا دائماً منصورين، غالبين قاهرين، لدخل معهم من ليس قصده الدين، ومتابعة الرسول... ومنها: أن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمحّصهم، ويخلصهم، ويهذبهم".

والمؤمن يسأل الله العافية، ولا يتمنى نزول البلاء، فلا يدري أيصبر أم يُفْتَن، وحب الموت لا يعني البحث عنه، إنما عدم الخوف منه، وتوطئ النفس عليه إذا أتى، وعدم الجزع إذا حل بساحته. وهذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي بعض أيامه التي لقي

<sup>(١)</sup> إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (١٨٩/٢)، بتصرف. ولابن القيم كلام نفيس

في فقه سنة الابتلاء، يمكن الرجوع إليه في كتابه: إغاثة اللهفان، (١٨٧/٢) -

(٢٠٠)، وكتابه: زاد المعاد، (١٩٦/٣) - وما بعدها.

فيها العدو، قام خطيباً في أصحابه: "أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"<sup>(١)</sup>، وكان "يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء"<sup>(٢)</sup>. فإذا وقع البلاء بالمؤمن وقد استفرد وسعه، وبذل ما يستطيع من الأسباب، فإنه لا يحزن على ما أصابه، ولا يجزع على ما نزل به، ولا يأسى على ما فاته، ولا يقول: لو فعلت كذا لكان كذا، بل يقول: قدر الله ما شاء فعل، كما في الحديث<sup>(٣)</sup>: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير". احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".

قال تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: ١٥٣]، وقال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٢٢) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى، رقم (٢٩٦٦)، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس، وأخرجه مسلم، رقم (١٧٤٢)، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمنى لقاء العدو.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، رقم (٦٣٤٧)، كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء، وأخرجه مسلم، رقم (٢٧٠٧)، كتاب الذكر، باب في التعوذ من سوء القضاء.

<sup>(٣)</sup> سبق تخريجه.

مَا فَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)  
 الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُحْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ  
 [الحديد ٢٢ - ٢٤].

ونزول المصيبة بالمؤمن دعوة له إلى أن يراجع نفسه، ويعرف أسباب البلاء الذي حاق به، ويدرك مواطن القصور، فيغير نفسه، وهذا هو الخطاب التغييري، كما أشرت، قال تعالى: {أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} [آل عمران: ١٦٥]، وهذا يقتضي منه أن ينظر في ما مضى لأخذ العبرة والدروس المستفادة، ولكن لا يظل أسير المصيبة، بل يتجاوز أحزانه وآلامه، ويستبشر بما سيأتي، فالبلاء مطهرةٌ للنفوس، وفرصةٌ للتهذيب، ومحطةٌ للتغيير.

### (وعي المسلم الدائم برسائلته في الحياة)

إن من علاج الوهن أن يظل المسلم واعياً بقداسته رسالته في الحياة، وطبيعة المهمة المنوطة به، وسمو أخلاقه وقيمه، وعظم غايته التي يسعى إليها، فهو في حالة وعي مستمر بذلك، وهذا ما يميزه عن غيره، ولذلك إن تألم المؤمن كما يتألمون فإنه يرجو ما لا يرجون، وإن قاتل الكافرون في سبيل الطاغوت فإن المؤمن يقاتل في سبيل الله، وإن خرجوا من ديارهم بطراً ورتاء وحميةً جاهليةً وصداءً عن سبيل الله، فإن المؤمن يخرج طاعة وإيماناً وإعلاءً لكلمة الله، إن طغوا وظلموا واستعلوا وقهروا المستضعفين، فإن المؤمن يرفع الظلم عن المستضعفين ولو كانوا على غير دينه، ويرسي العدل، ويأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر، إن تعامل أعداؤه معه بالخيانة فإنه لا يخون ولا يغدر، بل يفي بالعهود، ولا ينكث العقود، وهو من أجل ذلك يجاهد بنفسه وماله، فالله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

فمن شأن هذا الوعي أن يحول بين المسلم وتسلل الوهن إليه، فهو يعرف رسالته وهدفه ومهمته وطريقه وغاياته، ومن ثم لا يهين ولا يتضعض ولا يجبن ولا يفتتر.

قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَأ تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٧٥ - ٧٦]، وقال: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} [النساء: ١٠٤].

وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [الأنفال: ٤٧]، وقال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَنْقُضْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٥ - ٥٨]،

وقال: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَذَّوْا عَظْمًا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} .. [النحل: ٩٠ - ٩٥]،

وقال: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ وَلَوْ لَنَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَيَسَاءَ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بغيرِ عِلْمٍ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح: ٢٥ - ٢٦].

فإذا لم يقيم المسلمون بهذه المهمة المنوطة بهم، فإن الله يتوعدهم بالاستبدال، فالدين سيقوم بهم أو بغيرهم {إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [التوبة: ٣٩]، ويأتي الله بقوم آخرين، يحبون الله ويجاهدون في سبيل الله، وينصرون دين الله، فلا يخافون من الناس، ولا يصيبهم الوهن.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: ٥٤]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتُّفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا} ... [التوبة: ٣٨ - ٤١]،

وقال: {هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْكُم مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: ٣٨].

قال ابن تيمية: "فمن ترك الجهاد عذبه الله عذاباً أليماً بالذل

وغيره، ونزع الأمر منه فأعطاه لغيره، فإن هذا الدين لمن ذب عنه"<sup>(١)</sup>.

وقال ابن باز<sup>(٢)</sup>: "فالواجب على زعماء القومية ودعاتها أن يحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم، وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشئومة، وغاياتها الوخيمة، وأن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعوة إلى تحكيمه، بدلاً من الدعوة إلى قومية أو وطنية، وليعلموا يقيناً أنهم إن لم يرجعوا إلى دينهم ويستقيموا عليه ويحكموه فيما شجر بينهم، فسوف ينتقم الله منهم، ويفرق جمعهم، ويسلبهم نعمته، ويستبدل قوماً غيرهم يتمسكون بدينه ويحاربون ما خالفه".

(١) جامع المسائل، (٣٠٠/٥).

(٢) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، (٤١).

## ثانياً: العلاج القلبي

العلاج القلبي، له ثلاثة مكونات: (أولاً) علاج الإدراك والتصور، وهو ما بينته آنفاً، (ثانياً) رياضة القلب (تصفية القلب من المشاعر السلبية، وزرع المشاعر الإيجابية فيه)، ثم الصبر الذي يتمكن به من تجاوز المكروه وتحقيق المحبوب، (ثالثاً) تصحيح تعلق القلب (التوكل على الله).

### رياضة القلب:

المقصود برياضة القلب: تصفيته من المشاعر السلبية المؤذية الهدامة التي توهنه، كالخوف والفرح والحزن والجزع والجن والاسكانة وفتور الهمة واليأس والشعور بالعجز والدونية. وغرس المشاعر الإيجابية البناءة في القلب، ورعايتها، وتنميتها حتى يشتدّ عودها. ولا يسعنا في هذا البحث تفصيل هذه الجوانب، وسأقتصر على الحديث عن: الحزن<sup>(١)</sup>.

الحزن إما يكون على أمر فائت أو على مصيبة نازلة، قال تعالى: {لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ} [آل عمران: ١٥٣]. وقد نهى الله المؤمنين عن "الحزن"، فقال: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]، فالحزن يوهن القلب، ويملأه بالغم والكرب، ويهلك نفس الإنسان، ويذهب قوته، ويسقم

(١) للأستاذ عبد الكريم الخطيب كلام قيم حول علاج الخوف، وأثر الحرب النفسية في تقوية القلوب وإخافة الأعداء، انظر: التفسير القرآني للقرآن، (٣٧٨/١٣ - ٣٨٥).

جسده، ويُبلي روحه، فيتضعضع ويستكين، ويصرف الإنسان عن تحقيق أهدافه، ويُقعهده عن القيام برسالته.

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: "ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيًا عنه، أو منفيًا... وسر ذلك أن الحزن موقف غير مُسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه... فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»<sup>(٢)</sup>، فهو قرين الهم، والفرق بينهما أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مفتر للعلم".

ويحول المؤمنُ بين الحزن وقلبه: بتحقيق الإيمان بالله وبقضائه وقدره في القلب، واستشعار معية الله، والتوكل على الله، وولايته، واليقين أن المصائب والبلايا تكفر خطاياها، فيصبر ويحتسب.

قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران: ١٣٩، وقال: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} التوبة: ٥١، وقال: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} التوبة: ٤٠، وقال: {وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} لقمان: ١٧، وقال: {مَا أَصَابَ

<sup>(١)</sup> مدارج السالكين، (٥٠١/١).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك، رقم (٢٨٩٣)، كتاب الجهاد والسير،

باب من غزا بصبي للخدمة.

مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١].

وفي الحديث: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها"<sup>(١)</sup>.

قال ابن عثيمين: "الإيمان بالقدر فيه راحة النفس والقلب، وعدم الحزن على ما فات، وعدم الغم والهم لما يستقبل، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٢٢) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: ٢٢ - ٢٣]، والذي لا يؤمن بالقدر لا شك أنه سوف يتضجر عند المصائب ويندم، ويفتح الشيطان له كل باب، وأنه سوف يفرح ويبطر ويغتر إذا أصابته السراء، لكن الإيمان بالقدر يمنع هذا كله"<sup>(٢)</sup>.

وطريق المؤمنين في اجتناب الحزن أن يحتسبوا تضحياتهم، ويثقوا أنها محفوظة لهم عند ربهم، ومن قُتِلَ منهم فلن يضيع عمله، وعليهم ألا يحسبوا أن القتلى في سبيل الله أمواتاً، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون، وأن يوقنوا أن ما عند الله خير لهم وأبقى.

قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، رقم (٥٦٤١)، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، وأخرجه مسلم، رقم (٢٥٧٣)، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض.

<sup>(٢)</sup> مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين، (٨٦/٢).

يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ  
بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} لآل عمران: ١٦٩ -  
[١٧١].

وانظر أيضاً: سورة البقرة: ١٥٣ - ١٥٧، وسورة آل عمران: ١٥٣ - ١٥٤،  
وسورة محمد: ٣٥، وسورة الحديد: ٢٢ - ٢٣.

ومما يُذهب الحزن: تصحيح الإدراك، فالإنسان يحزن على أمر  
فاته، أو مصيبة نزلت به، فإذا أعاد النظر في الأمور بمقياس القرآن  
الكريم، تبين له أن متاع الدنيا ليس بالشيء الفاتت، بل متاع زائل،  
ومن طبيعته الفوات والنفاد، وأما المتاع الباقي فهو الجنة، والحزن  
الحقيقي لمن فاتته الجنة، والله جعل الخيرات والجنات والفلاح  
للمؤمنين المجاهدين الصابرين، وسماها: الباقيات.

قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا  
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٦ - ٩٧]. وانظر أيضاً سورة التوبة: ٨٧ - ٨٩، وسورة  
الكهف: ٤٦.

ومن تدبير الإسلام في علاج الحزن والخوف<sup>(١)</sup>:

"أولاً: هوّن على المؤمنين خطب الموت، وذلك بإيمانهم بالحياة  
الآخرة إيماناً يشعرون معه أن الموت ليس إلا انتقالاً من عالم إلى عالم  
أرحب، وأفسح، ومن هنا فلا ينظرون إلى الموت على أنه فناء أبدى  
للميت، وضياع لا نهائي لمن يموت، كما ينظر إلى ذلك الذين لا

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، (١٣/٣٨١ - وما بعدها)،

يؤمنون بالله واليوم الآخر.

وثانياً: أنه وعد المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، درجات عالية عند الله، سبحانه، حيث ينزلون منازل الأنبياء والصديقين... وإنما تتجلى طاعة الله ورسوله على أتم وجه وأكمله في ميدان الجهاد في سبيل الله.

وثالثاً: أنه توعد الذين ينتظمون في صفوف المجاهدين، ثم إذا التحم القتال، وتساقطت الرؤوس، وتناثرت الأشلاء، وسالت الدماء - ركبهم الفزع، واستبد بهم الجزع، والتمسوا وجوه النجاة في الفرار من الميدان، أو النكوص على الأعقاب، أو الدعوة إلى السلم، والاستسلام - توعد الإسلام من كان في المجاهدين، المقاتلين، ثم أخذ هذا الموقف المتخاذل - توعد به غضب من الله، ويعذاب أليم في نار جهنم".

### (الصبر):

يبين القرآن الكريم أن الصبر سلاح المؤمنين، والصبر قوة القلب على تجاوز المكروه وتحقيق المحبوب، فتجاوز المكروه يتمثل في تحمل الشدائد النازلة، وتخطي الأحزان الفاتئة، وتحقيق المحبوب يتمثل في الجِدِّ والسعي في تحويل الآمال والأهداف إلى حقائق. ومن دون الصبر فلا يكون الإنسان إلا كتلة من الوهن، يعيش أسير الأحزان، ورهين الأمنيات.

والمؤمن مأمور بالصبر على بلاءٍ حلَّ به، أو مصيبةٍ نزلت به، وحين يصبر يؤجر، وهذا من عزم الأمور، الذي لا يُلقاه إلا الصابرون

الصادقون، أما العجز عن الصبر فيستطيعه كل واهن. وبالصبر يتحقق النصر والظفر، وينال المؤمن معية ربه، ويظفر بتأييده ومدده. كما أن صبر المؤمنين يؤدي إلى خلخلة صف أعدائهم فلا يضرهم كيدهم شيئاً ولا يغمهم سوء قولهم، والصبر هو العامل الذي يُصَفِّرُ عامل الكثرة، فالقلة الصابرة تنتصر على الكثرة غير الصابرة.

قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَا مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥٠].

وقال تعالى: {وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُضِرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} لآل عمران: ١٢٠، وقال: {بَلَى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} لآل عمران: ١٢٥، وقال: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ} لآل عمران: ١٧٢، وقال: {لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} لآل عمران: ١٨٦، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} لآل عمران: ٢٠٠.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّزِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٥ - ٤٦]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} (٦٥) اللَّانَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ

اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٦٥- ٦٦].

قال سيد قطب<sup>(١)</sup>: "إن المؤمنين يحتملون الألم والقرح في المعركة، ولكنهم ليسوا وحدهم الذين يحتملونه، إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح والأواء... فإذا أصر الكفار على المعركة، فما أجدر المؤمنين أن يكونوا هم أشد إصراراً، وإذا احتمل الكفار آلامها، فما أجدر المؤمنين بالصبر على ما ينالهم من آلام. وما أجدرهم كذلك أن لا يكفوا عن ابتغاء القوم ومتابعتهم بالقتال، وتعقب آثارهم، حتى لا تبقى لهم قوة، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله. وإن هذا هو فضل العقيدة في الله في كل كفاح. فهناك اللحظات التي تعلق فيها المشقة على الطاقة، ويربو الألم على الاحتمال، ويحتاج القلب البشري إلى مدد فائض وإلى زاد".

وفي سورة آل عمران يبين الحق سبحانه وتعالى أن صبر المؤمنين وتقواهم يحقق لهم أربعة أمور:

الأول: إبطال كيد أعدائهم، فقال: {وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران: ١٢٠]، قال القرطبي<sup>(٢)</sup>: "وإن تصبروا) أي على أذاهم وعلى الطاعة وموالاتة المؤمنين (وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)، فشرط تعالى نفي ضررهم بالصبر والتقوى، فكان ذلك تسلياً للمؤمنين وتقوية لنفوسهم".

الثاني: الفوز بنصر الله، فقال: {بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا

<sup>(١)</sup> في ظلال القرآن، (٢/٧٥٠).

<sup>(٢)</sup> تفسير القرطبي، (٤/١٨٣).

وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ { آل عمران: ١٢٥}، "قال الضحاك وعكرمة: كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد إن صبروا، فلم يصبروا فلم يمدوا"<sup>(١)</sup>. وقال السعدي<sup>(٢)</sup>: "وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الصبر والتقوى".

الثالث: التغلب على آثار الهزيمة النفسية، فقال: { لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } { آل عمران: ١٨٦}. فالتغلب على آثار البلاء، وعلى حرب المشركين الإعلامية، إنما يكون بالصبر والتقوى. قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: "أي: أن الذي يصبر على أذى الناس ويحتملهم ويغفر لهم سيئاتهم التي يسيئون بها إليه؛ فإن ذلك (لَمَنْ عَزَمَ الْأُمُورِ) أي: من معزوماتها وشدائدها التي تحتاج إلي مقابلة ومصابرة. ولا سيما إذا كان الأذى الذي ينال الإنسان بسبب جهاده في الله - عز وجل - وبسبب طاعته؛ لأن أذية الناس لك لها أسباب متعددة متنوعة. فإذا كان سببها طاعة الله - عز وجل -، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن الإنسان يثاب على ذلك من وجهين: الوجه الأول: من الأذية التي تحصل له. والوجه الثاني: صبره على هذه الطاعة التي أودى في الله من أجلها".

(١) تفسير البغوي، (٥٠٢/١).

(٢) تفسير السعدي، (١٤٦)، بتصرف.

(٣) شرح رياض الصالحين، (١٨٢/١).

الرابع: الفلاح في الدنيا والآخرة، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا  
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: ٢٠٠]. قال  
البقاعي<sup>(١)</sup>: "أي ليكون حالكم حال من يرجى فلاحه وظفره بما يريد  
من النصر على الأعداء والفوز بعيش الشهداء".

### التوكل على الله:

"حقيقة التوكل: صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في  
استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة  
الأمر كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر  
ولا ينفع سواه"<sup>(٢)</sup>. والحديث عن التوكل باب واسع ومستفيض<sup>(٣)</sup>،  
ف"التوكل جماع الإيمان"، وهو "الغاية القصوى"، فمن حقق التوكل  
فقد حقق الإيمان بالله. قال الألويسي<sup>(٤)</sup>: "الإيمان يوجب قوة القلب  
ومزيد الثقة بالله تعالى، وعدم المبالاة بأعدائه".

وقد بين القرآن الكريم أن التوكل على الله يعصم المؤمن من  
الانزلاق إلى مستنقع الوهن، ويحميه من استيلاء الجبن والرعب على  
فؤاده، ويعصمه من مخالاب الحزن، ويرضيه بقدر الله، ويجلب له نصر

<sup>(١)</sup> نظم الدرر، (١٦٩/٥).

<sup>(٢)</sup> جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (٤٩٧/٢).

<sup>(٣)</sup> انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (٤٩٥/٢ - ٥٠٨)، ومدارج

السالكين، لابن القيم، (١١٢/٢ - ١٣٦). عبارة "التوكل جماع الإيمان" لسعيد

بن جبير، وعبارة "التوكل الغاية القصوى" لوهب بن منبه.

<sup>(٤)</sup> روح المعاني، (٢٨٢/٢).

ربه ومدده، فمن تعلق بالله وتوكل عليه نصره، ومن تعلق بغير الله

خذله الله ووكله إلى ما تعلق به

قال تعالى: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: ١٢٢- ١٢٣]، وقال: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمُ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠]، وقال: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)} فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ مِنْ اللَّهِ وَفَضَّلْ لِمَ يَمَسْسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٣- ١٧٥].  
وانظر أيضاً: سورة الأنفال: ٩- ١٩، وسورة التوبة: ٥١- ٥٢، وسورة الأحزاب: ٢١- ٢٧، وسورة محمد: ٧، وسورة الطلاق: ٣.

"وتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله

سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} [النساء: ٧١] [النساء: ٧١]، وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: ٦٠]، وقال: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة: ١٠]"<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> جامع العلوم والحكم، (٢/٤٩٨).

## ثالثاً: العلاج السلوكي:

العلاج السلوكي للوهن يشمل كل ما أمر به القرآن الكريم المؤمنين أن يعملوه، من جهاد بالنفس والمال، وطاعة لله ورسوله، وإقامة للدين، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وأخذ بأسباب القوة، وبناء الصف وتنقيته من عوامل الوهن... إلخ. وسأشير إلى بعض هذه العلاجات.

### (تبني الخطاب التغييري)

الخطاب التغييري هو الخطاب الذي تُشخّص فيه المشكلة، بتبصر ووعي ومسؤولية، فتُحدّد أسباب المشكلة، وتكشف أعراضها، وتُبيّن آثارها، ويُعرّف على أوجه القصور، دون مبالغة تُحطّم المعنويات، ودون تبرئة للنفس فتضيع الحقوق، ثم يُبيّن العلاج. وعلى المريض أن يبدأ بتناول العلاج، ولا يستنكف عن ذلك، ولا ينكر مرضه، ولا يرمي بالتبعة على غيره. وفي الوقت نفسه، فصاحب الخطاب التغييري يفقه واقعه، ويدرك حجم عدوه وحقيقته، دون تهويل له أو تهوين منه. ويسعى "الخطاب التغييري" إلى التبصير بالحقائق، والتوعية بالسنن، والتذكير بالرسالة والغاية، كما يهدف هذا الخطاب إلى مللّة الجراح، وإعادة بناء النفوس، وتفعيل عوامل القوة والإيجابية في القلوب، وتخليصها مما علق بها من آفات نتيجة الوهن، وتذكيرها بما حققتة من إيجابيات، وتغذية الشعور بالعلو والتفوق، وبعث أشعة التفاؤل فيها، فيتدفق ماء الحياة في قلوب الناس، ويستيقظ الشعور بالعزة والكرامة، وتنبت ثمار الأمل واليقين بتحقيق النصر في صحاري نفوس أوهنتها الهزائم.

ويمثل الخطاب في سورة آل عمران نموذجاً لهذا الخطاب التغييرى، وكم هي الأمة بحاجة اليوم إلى مثل هذا الخطاب، الذي لا يميع القضايا ولا يضاعف الهزائم (انظر سورة آل عمران: ١٠٠ - ٢٠٠).

والواجب اليوم على علماء الأمة ودعاتها وكتابها، وعلى الصحافيين في أجهزة الإعلام، وعلى كل من يحترف مهنة الكلمة كتابة أو حديثاً، أن يفقه سورة آل عمران، ويتعلم منها أسس "الخطاب التغييرى".

### (الجهاد بالنفوس والمال):

لقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا على أهبة الجهاد، وأمر رسوله أن يحرض المؤمنين على القتال، وأمرهم أن يأخذوا بأسباب القوة، ويعدوا للقتال عدته، وأن يجاهدوا بأنفسهم وأموالهم، ويثقوا بنصر الله، فالله يكف بأس الكافرين ويُعجزهم إذا نذر المسلمون إلى الجهاد. وكيف يتقاعس المسلمون عن الجهاد وأعداؤهم لا يزالون يقاتلونهم ويسارعون في النيل منهم، ولن يتركوا أهل الحق وإن تركوهم، فالجهاد وإن كان فيه مشقة وتكرهه النفوس فإن فيه خيراً كثيراً، ولو تركه المسلمون لكانت فتنة في الأرض وفساد كبير، كما هو الحال في هذا العصر.

قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ

وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ  
عِنْدَ اللَّهِ وَالْفَيْثَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ  
دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ  
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٦- ٢١٧].

وانظر أيضاً: سورة النساء: ٨٤، وسورة الأنفال: ٣٩- ٤٠، ٥٩- ٦٠،  
٦٥- ٦٦، وسورة التوبة: ١٤- ١٥، ٣٨- ٤١.

وفي الحديث<sup>(١)</sup>: "لئن تركتم الجهاد، وأخذتم بأذنان البقر،  
وتبايعتم بالعيثة، ليلزمنكم الله مذلةً في رقابكم، لا تنفك عنكم  
حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه"، فلن ينزع الله عن  
الأمّة ما هي فيه من الذل إلا إذا تابت إليه، ورجعت على ما كان عليه  
أولها.

وقال تعالى: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)  
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ  
وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٥٩- ٦٠].

قال السعدي<sup>(٢)</sup>: " {وَأَعِدُّوا} لأعدائكم الكفار الساعين في  
هلاككم وإبطال دينكم. {مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أي: كل ما تقدر  
عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين  
على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف  
الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية،

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير السعدي، (٣٢٤).

والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلَّم الرَّمْي، والشجاعة والتدبير، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال. وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب {تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. {وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ} ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به، {اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم. ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار، ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} قليلا كان أو كثيرا {يُوفَّ إِلَيْكُمْ} أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. {وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ}، أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا".



وقد جعل الله الإنفاق في سبيل الله من الجهاد، وفي القرآن الكريم غالبا ما يقترن الجهاد بالنفوس مع المال، قال ابن باز: "قدم الله سبحانه الجهاد بالمال على الجهاد بالنفوس في غالب الآيات، فالمقصود

أن الجهاد في سبيل الله له شأن عظيم، فهو بالمال أفضل في بعض الوجوه، وبالنفس أفضل في بعض الوجوه؛ فالنفس أعلى شيء عند الإنسان، فالجهاد بالنفس هذا أفضل الجهاد؛ لأنه مجاهد بنفسه، لكن قدم الله المال؛ لأن المال ينفع في جهات كثيرة، يُستطاع أن يُستأجر به المجاهد، ويُستطاع أن يجهز به المجاهد، ويُستطاع أن يُشترى به السلاح، ويشتري به الطعام والشراب، وتشتري به الكسوة، وتشتري به المؤونة والذخيرة، فنفع المال متنوع<sup>(١)</sup>.

والجهاد بالمال علاج لشح النفس وتطهير للقلب من تعلقه بالدنيا، فحب الدنيا يدفع الإنسان إلى الشح والبخل، فيهن قلبه، ولذلك فالإنفاق علاج لوهن القلب.

قال تعالى: { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [التوبة: ١٢٠ - ١٢١]،

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ هِتَّةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِبِأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [التغابن: ١٤ - ١٦].

وقال: { فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ

<sup>(١)</sup> فتاوى نور على الدرب، (٢٦٤/١٨).

أَعْمَالِكُمْ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فِئْحِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجُ أَضْعَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِتُقْفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ { لمحمد: ٣٥ - ٣٨.}

### (تنقية الصف):

ومن علاج الوهن: تنقية الصف من المشبطين والمرجفين والمُخْدَلِينَ، وفضحهم، وكشف باطلهم للناس، حتى لا يغتروا بهم، فهؤلاء لا يألون المؤمنين خبالاً، ولا يزيدونهم إلا وهناً، ويسعون في مضرتهم ومشقتهم، وينشرون مقالة التخذيل والسوء بينهم، يسوءهم ما أصاب المؤمنين من خير، ويستبشرون بكل بلية تنزل بهم، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأُنَّامِلَ مِنَ الْغِيظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ { آل عمران ١١٨ - ١٢٠،

وقال: { وَكَلِمَةً لَأَعْدُوا لَهُ عِدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ { التوبة ٤٦ - ٤٨،

وقال: { لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } [الأحزاب ٦٠ - ٦٢].

قال ابن كثير في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ } [آل عمران: ١١٨]: "ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالاً، أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم"<sup>(١)</sup>.

### (بناء الصف):

يرتكز بناء الصف على مجموعة من التعاليم، تحدد علاقة المؤمنين بعضهم ببعض، وعلاقتهم مع غيرهم، وسعيهم في تحقيق أهدافهم، وأداء رسالتهم.

وأول أسس البناء: طاعة الله ورسوله، فالحق سبحانه وتعالى يبين أن طاعة الله ورسوله عاصم للأمة من الوهن، وأن قوة الأمة وتحقق نصرها يتطلب عدة أمور، ومنها طاعة الله ورسوله، وتلزم طاعته في كافة أمورهم، سواء فيما يأمرهم به من شؤون الحرب والقيادة والحكم أم في غير ذلك من أمور الدين، والمؤمن حقاً من

<sup>(١)</sup> تفسير ابن كثير، (١٠٦/٢).

## يطيع الله ورسوله، ولا يكون علوهم إلا بإيمانهم

قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]،

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّزِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٥ - ٤٦]،  
وانظر أيضاً: سورة النساء: ٥٩ - ٧٠.

وخاطب المؤمنين، عقب وعده بتوهين كيد الكافرين، فأمرهم بطاعته وطاعة رسوله، والاستجابة لرسوله، فهو يبين لهم أن عليهم تقوية صفهم، وإحياء قلوبهم، بطاعة الله ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فلا ينشغلوا بعدوهم فإن الله موهن كيدهم، وسيؤوي عباده وينصرهم ويرزقهم، وأمرهم ألا تشغلهم الدنيا ومتاعها عن الاستجابة لله والرسول (انظر سورة الأنفال: ١٨ - ٣٠)، بدءاً بقوله: {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} إلى قوله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

ويبين لهم أن طاعة الله ورسوله، هي الرباط المحكم الذي يحول بينهم والتفرق أو التمزق، أو التشرذم، وطالما التزموا بطاعة الله ورسوله في كل شؤونهم، وردوا ما اختلفوا فيه إلى الله والرسول، فلا يزالون بخير، ولا انفصام لعروتهم الوثقى.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].  
وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا  
وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُضْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} لآل عمران: ١٠٣.

قال سيد قطب: "فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم - مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة - فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع «الذات» في كفة، والحق في كفة وترجيح الذات على الحق ابتداءً! .. ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة.. إنه من عمليات «الضبط» التي لا بد منها في المعركة.. إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها. وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي لا تجاهد لله، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها لله أصلاً.. والمسافة كبيرة كبيرة"<sup>(١)</sup>.

كما نهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وأمرهم أن يجعلوا ولاءهم للمؤمنين، فيؤسسوا روابط الانتماء والولاء على أساس الدين، وليس على أساس النسب أو العرق أو الأرض أو غير ذلك من روابط أرضية، فإن لم يفعلوا ذلك فليتربصوا حتى يأتي الله بأمره. فلن تتوحد الأمة إلا برابطة الدين، التي أساسها طاعة الله ورسوله، وليس روابط النسب أو العرق أو

(١) في ظلال القرآن، (٣/ ١٥٢٨).

## غيرها .

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا } [النساء ١٤٤] ،  
 وقال: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) } [الأنفال ٧٢ - ٧٣] ،

وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة ٢٣ - ٢٤]

ومن يسعى في موالاة غير المؤمنين فإنما يفعل ذلك لمرض في قلبه، ويقولون: نخشى الدوائر... إلخ، فهم يخشون الناس أشد من خشيتهم لله (انظر سورة المائدة: ٥١ - ٥٨)، بدءاً من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } إلى قوله تعالى: { وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } . وموالاة اليهود والنصارى تفرق المؤمنين ولا توحدهم، وتشتتهم ولا تجمعهم .

ويقتضي ولاؤهم للمؤمنين التناصر والتعاون على إقامة الدين،

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرساء العدل، وتحقيق الإحسان، والتكافل والتراحم، واجتناب الفواحش والمنكرات والبغي ورفع الظلم.

قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} [التوبة: ٧١]،

وقال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

وهناك مجموعة من المبادئ والأسس التي تقوم عليها علاقاتهم سواء مع المؤمنين أو مع غيرهم، ومنها: الرحمة بالمؤمنين، والغلظة والشدة على الكفار، وليس العكس،

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ} [التوبة: ٧٣]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} [التوبة: ١٢٣]، وقال: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩].

ومن المبادئ أيضاً: الوفاء بالعهود والمواثيق، وعدم نقض العقود، وألا يغدروا وألا يخونوا، سواء مع المؤمنين أو مع الكافرين.

قال تعالى: {وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨]،

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفَضَّتْ عَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوِّ أُنْكَاتًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ

وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسَّالِنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ  
 دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ  
 هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ  
 وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { النحل: ٩٠ -

## المراجع:

- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط١، بيروت.
- الاستعمار الاقتصادي بأسلوب المنح والقروض، أ.د. سعد الدين السيد صالح، منشور على موقع الألوكة: [http://www.alukah.net/culture/0/37368/#\\_ftnref24](http://www.alukah.net/culture/0/37368/#_ftnref24)
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، بيروت.
- الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد الثعالبي، مكتبة القرآن، دت، القاهرة.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ط١، بيروت.
- إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، دت، الرياض.
- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة الشيباني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ، الرياض.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط١، مصر.
- إن أوهن البيوت لببت العنكبوت لو كانوا يعلمون، د. زغلول النجار، صحيفة الأهرام (٢٠٠٣م)، متاح على موقع الصحيفة: <http://goo.gl/UFZiLe>
- إن أوهن البيوت لببت العنكبوت لو كانوا يعلمون، د. صلاح رشيد، مجلة الإعجاز العلمي، ٢٠٠٤م، متاح على موقع المجلة: <http://goo.gl/WxhvpI>

- البارع في اللغة، أبو علي القالي، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة، ١٩٧٥م، ط١، بغداد.
- باسم: البنك الآلي السعودي للمصطلحات، <http://basm.kacst.edu.sa/default.aspx>
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، بيروت.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م، مصر.
- تاج العروس، محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، صادر عن وزارة الإعلام بالكويت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، الكويت.
- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، ١٣٨٧هـ، ط٢، بيروت.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، تونس.
- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين البيضاوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، الكويت.
- التعريفات، علي الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ط١، بيروت.
- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط١، بيروت.

- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط٢، مصر.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، د.ت، بيروت.
- التفسير البسيط، أبو الحسن علي الواحدي، تحقيق: نخبة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٠هـ، ط١، الرياض.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ط١، بيروت.
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، القاضي ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ، ط١، بيروت.
- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، دار الحديث، ط١، القاهرة.
- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ط٣، بيروت.
- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ط١، دمشق.
- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، أبو الليث نصر السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط١، بيروت.
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ت، القاهرة.

- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ط١، دمشق.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، شمس الدين محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ط٢، القاهرة.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور محمد الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ط١، بيروت.
- تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، د. زهير رابح قرامي، مجلة الإعجاز العلمي، العدد الثالث، ١٤١٨/٤/١ هـ الموافق: ١٩٩٧/٨/٥، منشور على موقع المجلة: <http://goo.gl/mx4b0f>
- تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، ط١، بيروت.
- الثلث الثاني من الحمل - ما الذي يجب أن تتوقعه الحامل، موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز العربية للعلوم الصحية، ٢٠١٤، متاح على موقع الموسوعة: <http://goo.gl/K5GgsQ>
- ثلث الحمل الأول - ما يمكن توقعه، موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز العربية للعلوم الصحية، ٢٠١٤، متاح على موقع الموسوعة: <http://goo.gl/RyPGSr>

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط٧، بيروت.
- جامع المسائل، تقي الدين أحمد ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ، ط١، مكة المكرمة.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ط١، بيروت.
- حملته أمه وهنا على وهن، عبد المحسن صالح، مجلة الوعي الإسلامية - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مج ٢١، ع ٢٤٤، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٨٨-٩٥، الكويت.
- خيوط العناكب لتصنيع الدروع، موقع بي بي سي، ١٨/١/٢٠٠٢م، منشور على الرابط: <http://goo.gl/aJjkKQ>
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (تفسير الحلبي)، أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق: د أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- دراسات في سيكولوجية المسنين، عبد اللطيف محمد خليفة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، القاهرة.
- الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، ١٩٩٢، ط٧، بيروت.
- ردّ لطيف على الصحفي فهد الأحمد في فهم (أوهن البيوت)، مساعد الطيار، ٢٠١٢م، منشور على موقع تفسير: <http://goo.gl/zAKcsj>
- روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ، ط١، بيروت.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ط٢٧، بيروت، والكويت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ط١، الرياض.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط١، دمشق.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط١، دمشق.
- سنن النسائي، النسائي، تحقيق: عبد الفتح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ط٢، حلب.
- شرح العقيدة الأصفهانية، تقي الدين أحمد ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ، ط١، بيروت.
- شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: د عبد الرحمن السيد، ود محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ط١، القاهرة.
- شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ، ط٢، بيروت.
- شرح نقائص جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص، المجمع الثقافى، ١٩٩٨م، ط٢، أبو ظبي.

- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ط١، الرياض.
- الشيخوخة بين القرآن والسنة والعلم الحديث، د. أحمد شوقي إبراهيم، ٢٠١٠م، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: <http://goo.gl/Ho8aQZ>
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط٤، بيروت.
- صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ط١، بيروت.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ط٣، بيروت.
- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٢٧٤هـ/١٩٥٥م، القاهرة.
- الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ، بيروت.
- الضربات التي وجهت للانقضااض على الأمة الإسلامية، أنور الجندي، دار القلم، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ط١، دمشق.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ط٢، بيروت.
- العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٠م، القاهرة.

- فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن باز، إعداد: أ.د. عبد الله بن محمد الطيار ومحمد بن موسى الموسى، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، السعودية.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ، ط١، دمشق وبيروت.
- فرائد اللغة، هنريكوس لامنس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٨٩م، بيروت.
- الفروسية، ابن القيم، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، دار الأندلس، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ط١، السعودية.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، دت، القاهرة.
- الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ط٢، بيروت.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ١٤١٢هـ، ط٧، القاهرة.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ط٨، بيروت.
- القانون في الطب، أبو علي بن سينا، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط١، بيروت.
- قراءة علمية وإعجازية في وهن العظام عند الرجال، د. محمد الديب، موقع هيئة الإعجاز العلمي: <http://goo.gl/s194BK>
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ط٣، بيروت.
- الكيد في القرآن الكريم، د. يحيى محمد يحيى، مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط (جامعة الأزهر) - مصر، عدد ١١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، (ص ١١-٦٥).

- لا للشيخوخة المبكرة، د. سامي محمود، الدار المصرية للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ط١، القاهرة.
- لباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط٢، القاهرة.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ١٤١٤هـ، ط٣، بيروت.
- لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟، شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، دت، ط٢، بيروت.
- مثل الذين اتخذوا من دون الله، محمد عتوك، موسوعة الإعجاز العلمي، ٢٠١٠م، متاح على موقع الموسوعة: <http://goo.gl/5U6nkg>
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، السعودية.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، دار الثريا ودار الوطن للنشر، ١٤١٣هـ، الطبعة الأخيرة، الرياض.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ط١، بيروت.
- المخصص، أبو الحسن ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ط١، بيروت.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ط٣، بيروت.
- مراحل الحمل أسبوعياً، موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز العربية للعلوم الصحية، ٢٠١٤، متاح على موقع الموسوعة: <http://goo.gl/23aHpd>

- مرحلة ما قبل الميلاد، د. فاطمة الكتاني، مجلة طبيب دوت كوم، ٢٠١٣م، متاح على موقع المجلة: <http://goo.gl/XF9kHM>
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ط١، دمشق.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، التقدم العلمية، ١٣٢٢هـ، ط١، مصر.
- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، أبو إسحاق ابن قرقول، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠١٢م، ط١، قطر.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ط١، بيروت.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ط٢، القاهرة.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، مؤسسة سطور المعرفة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط١، الرياض.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ط٤، القاهرة.
- معجم مصطلحات الطب النفسي، د. لطفي الشربيني، تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، ١٤١٢هـ، ط١، دمشق وبيروت.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دمشق.

- مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علوم الحديث)، أبو عمرو ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دمشق وبيروت.
- الموسوعة العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، الطبعة الإلكترونية.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (تفسير البقاعي)، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، دت، القاهرة.
- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، عبد العزيز بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١١هـ، ط٦، السعودية.
- نقص التستوستيرون، موسوعة الملك عبد الله للعلوم الصحية: <http://goo.gl/RxJuJD>
- نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق وفؤاد أبو حطب، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩م، ط٤، القاهرة.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ، ط١، القاهرة.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، بيروت.
- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط١، مصر.
- الوهن كما حددته السنة وأثره في تخلف الأمة، هاني طعيمات، المؤتمر العلمي الخامس لكلية الشريعة بجامعة جرش، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م، ص ٦١٢-٦٣٠، الأردن.